اعراس آلاله تموز وماساته

في

طقوس الزواج المقدس والحزن الجماعي

بقلم : الدكتور فاضل عبدالواحد علي
كلية الآداب ـ بغداد

اعتاد السومريون والبابليون ان يقيموا في كل عام طقوسا دينية كان من ابرزها ما يعرف بين الباحثين بـ « الزواج المقدس » و « البكاء على تموز » . والحقيقة فان كلا الطقسين كانا في الواقع محاكاة لمضمون عقيدتين دينيتين تتعلقان بالاله الراعي دموزي (تموز) . فقد كان الزواج المقدس يرمز الى زواج هذا الاله من ان ـ أنا (عشتار) الهة الحب والخصب. اما الثاني فانه كان يقام بسبب موت الاله ونزوله الى العالم السفلي وسنتناول في هذا البحث تفصيلات هذين الطقسين وما يتعلق بهما من معتقدات وما قيل بخصوصهما من آراء وتفسيرات . ونود ان نذكر بان البحث يستمد مادته من الوثائق المسمارية ، السومرية منها والبابلية كالاساطير والقصص والقصائد والترانيم والمناجات . ولابد لنا أيضا في البداية من مقدمة موجزة عن اوليات الموضوع لعلاقة ذلك بما سأذكره من تفصيلات .

لقد تناولنا في بحث سابق عن « اله والهة الخصب » جذور المعتقدات الخاصة بهما في حضارة وادي الرافدين واستمرارها عبر العصور التأريخية المختلفة[1] . وقد رأينا من خلال ذلك البحث ان تلك الجذور تعود الى ازمان قديمة كما

---

(١) حول مزيد من التفصيلات عن هذا الموضوع انظر بحثنا عن « اله والهة الخصب في حضارة وادي الرافدين » في العدد الثاني من المجلة التاريخية (١٩٧٢) .

تثبت ذلك الآثار المادية التي ترمز الى قوى التكاثر في الطبيعة والتي صنعها انسان عصور ما قبل التأريخ • ورأينا ايضا ان قوى الخلق والتكاثر قد جسدها سكان وادي الرافدين بالالهة ان ـ انا (عند السومريين) وعشتار (عند الساميين) وبالاله دموزي (تموز) وانهم خلعوا على الالهة ان ـ انا (عشتار) أوصافا وخصالا كثيرة مثل الالهة الام ، الهة الحب ، الهة الحرب وغير ذلك من الصفات • أما بالنسبة للاله دموزي فانه كان في عقيدتهم الاله الراعي واله النبات والخضار •

وتذكر المآثر السومرية والبابلية ان الاله دموزي يقع في حب الالهة ان ـ انا وانه يتفانى ويضحي في سبيلها بالغالى والنفيس ويحاول بشتى الوسائل اقناعها بالزواج منه بدلا من غريمه الفلاح انكيمدو (Enkimdu) وتذكر ايضا بان الاله الراعي تمكن في النهاية من أن يستحوذ على قلب ربة الحب والعاطفة ان ـ انا وان يتزوجها بعد مغامرات عاطفية ولقاءات عديدة في الليالي المقمرة • وكان الاله الشاب سعيدا بزواجه الى ان عزمت الالهة زوجته على القيام برحلة الى العالم السفلي حيث كانت تقيم اختها الكبرى ايرشكيجال • اذ تذكر الاسطورة المعروفة بـ « نزول ان ـ انا الى العالم السفلي » ان الالهة لاقت صعوبات كثيرة في رحلتها وان اختها رفضت لها السماح بالخروج من عالم الاموات الا بعد ان تقدم بديلا يأخذ مكانها • وازاء ذلك فان الالهة قدمت حبيبها وزوجها دموزي الى من كان معها من شياطين العالم السفلي ليأخذوه بديلا عنها وتذكر مصادر سومرية اخرى ان الشياطين هجموا على دموزي وانهالوا عليه ضربا حتى أردوه قتيلا ومن ثم حملوه الى دنيا الاموات •

وبالطبع لم يكن معقولا ان يموت دموزي الى الابد ، اذ لوحصل ذلك لاختفت مظاهر الحياة من على الارض ، اذاً كم يلبث دموزي ميتا في العالم السفلي ؟

يجد الباحث أقوالا مختلفة بهذا الشأن • اذ يفهم من بعض النصوص المسمارية المتأخرة ان دموزي كان يبقى هناك ثلاثة ايام وثلاث ليالي[٢] ويفهم من بعضها الاخر انه يمكث هناك ثلاثين يوما[٣] • وقد ذهب الاستاذ كريمر في تقديمه لكتاب « اساطير العالم القديم »[٤] الى ابعد من هذا وذاك فقال ان دموزي يموت ويبقى ميتا الى الابد في العالم السفلي على الرغم من انه اعترف صراحة بصعوبة التوفيق بين رأيه هذا وبين ما هو شائع عن تناوب الفصول وارتباطها بموت وبعث الاله دموزي •

غير ان أصوب الاراء بهذا الشأن الرأي الذي توصل اليه الاستاذ فلكنشتاين[٥] عام ١٩٦٥ من خلال استعراضه لمجموعة من النصوص السومرية

---

(٢) Albright, From The Stone Age to Christianity (Doubleday Anchor Book, 1957), p. 193-94 and note. 60.

(٣) Ebeling, Tod und Leben, (1931), p. 49.

(٤) Kramer (editor), Mythologies of The Ancient World, (1961), p. 10.

(٥) Falkenstein, Bibliotheca Orientalis XXII (1965) p. 279-283.

التي سبق وأن نشرها الاستاذ كريمر[٦] سنة ١٩٦٤ • وكان من هذه النصوص رقيم يحتوي قفاه على بقايا لخمسة عشر سطراً الاخيرة من اسطورة « نزول ان ـ نا الى العالم السفلي » ومن جملة الملاحظات التي أوردها فلكنشتاين حول هذا النص ان تعدل قراءة السطر العاشر منه بحيث تكون بالشكل الآتي :

« انت [يا دموزي] لنصف سنة واختك [كشتن ـ انا] لنصف سنة »[٧] وبموجب ذلك فان دموزي يموت لنصف سنة ثم يخرج من دنيا الاموات على ان تحتل أخته كشتن ـ انا مكانه في النصف الآخر منها بصفتها بديلة عنه • ويورد فلكنشتاين تأكيدا لرأيه هذا بانه يستنتج من مقطع في حلم دموزي بان اخته كشتن ـ انا ، التي عرفت بحبها لاخيها ، تتبعه الى العالم السفلي وتقدم نفسها بديلة عنه •

لا نشك في أن رأي فلكنشتاين يحظى بقبول المعنيين[٨] لاكثر من سبب • فهو اولا : ينسجم مع العقيدة الخاصة بأله الخصب وضرورة وجوده حيا ولو لفترة ، من اجل استمرار الحياة في مظاهر الطبيعة ، كما ينسجم مع ما هو شائع عن موت هذا الاله ابتداء من شهر تموز وانبعاثه في اواخر الشتاء والربيع • ثانيا : انه ينسجم مع قوانين العالم السفلي التي توجب تقديم بديل عمن يخرج منه • فالالهة ان ـ انا قدمت زوجها دموزي بديلا عنها • وكان لابد من أجل ان يخرج دموزي الى الحياة ان يحتل مكانه شخص آخر ، ولذلك يكون تطوع أخته كشتن ـ انا لان تأخذ مكانه لنصف سنة امرا منطقيا وطبيعيا خاصة وهي التي حاولت انقاذه بكل وسيلة من قبضة الموت • ثالثا : ان موت دموزي لنصف سنة وبعثه لنصف سنة يتفق تماما مع ما هو معروف عن موت وبعث الاله ادونس في الاسطورة اليونانية •

بعد هذه الكلمة الموجزة عن صفة الموت والبعث للاله دموزي ننتقل الآن الى الحديث عن جانبين مهمين من جوانب العقيدة الدينية عند سكان وادي الرافدين لنستطيع بعد ذلك أن نتعرف على البواعث التي أدت الى ظهور الطقوس الخاصة بما اسميناه بالزواج المقدس والحزن الجماعي •

تتميز العقيدة الدينية عند السومريين والبابليين بصفات عديدة لعل من ابرزها واهمها مبدأ الحيوية (Animism) ومبدأ التشبية (Anthropomorvism) واللذين يرجعان اصلا الى معتقدات انسان عصور ماقبل التاريخ • فالمعروف عن انسان تلك العصور انه كان شديد التأثر ، بحكم أسلوب حياته البدائية ، بالظروف الطبيعية • ولاشك في انه أحس من خلال تأملاته في ظواهر الطبيعة ومن خلال صراعه معها ، وخاصة تلك التي كان لها مساس مباشر بحياته اليومية ، بان في تلك الظواهر قوى

---

(٦) Ibid., p. 281.

(٧) Ur Excavations Textes, vol. VI part I, no. 10.

(٨) رجع الاستاذ كريمر عن رأيه القائل بموت الاله دموزي الى الابد واعترف بصواب رأي فلكنشتاين : حول مزيد من التفصيلات انظر : Bulletin of The American School of Oriental Research, no. 183 (1966) p. 31.

أو أرواحاً خفية مما تتسبب مثلا في هبوب الريح العاصفة وحدوث الرعد والبرق وهطول الامطار وتدفق المياه •• وبالمثل فانه عزا الى مثل هـذه القوى الخفية جميع مظاهر التجدد والعطـاء في الارض من ظهور العشب وتفتح البراعم وتكاثر الحيوانات وكثرة الخيرات في موسم الربيع •

ونتيجة لعملية التحدي والتفاعل المتواصلـة بين الانسان وقوى الطبيعة فقد كان طبيعيا ان تبدو له تلك القوى على شاكلته وان يسبغ عليها ، عندما جسدها بآلهة ، جميع صفاته • ولهذا نجد ان الالهة في وادي الرافدين كانت تتصف بكـل مظاهر الحيـاة اليومية للانسان وانهـا تشبهه في حاجاته وسلوكه ورغباته • فالالهة كانت ايضـا تأكل وتشرب وتتزوج وتتنازع وتتذنب وتمارس الحكم ولها مجلس تبحث وتقرر فيه مصير الكون والانسان• ولعل الفرق الوحيد بينها وبين البشر، في نظر العراقيين القدماء ، ان الآلهة لا تموت وان كان بعضها لم يسلم من الموت كليا كما رأينا ذلك في حالة الاله دموزي • ولذلك فقـد كان هذان المبدئان من العوامل الاساسية التي أدت بمرور الزمن الى ظهور طقوس دينيه لها اهمية بالغة من وجهة نظرالقدماء وخاصة ماكان يتعلق منها بقصة التكوين وعقيدة الخصب •

فنحن نقرأ في قصة التكويـن فـي وادي الرافدين ان المياه الازلية ، ابسو (المياه العذبة ، مذكر) وتيامة (المياه المالحة ، مؤنث) كانا مصدر الوجود وانه نتيجة لامتزاجهما ولدت أجيال من الالهة • غير ان الاجيال الجديدة لـم تلبـث ان اضطرت الى خوض معركة مصيرية ضد ابويها ابسو وتيامة عندما اكتشفت ان ابسو دبر مكيدة لابادة الالهة الجديدة بسبب انزعاجه من سلوكها وضوضائها • وقد انتهت الجولة الاولى بانتصار الالهة الجديدة عليه وبمقتله ، ولما عزمت زوجته تيامة على الانتقام له أصاب هذه الالهة الذعـر أمام قوتها السحرية الخارقة • وبعد الاخذ والرد وقع اختيار الالهة على الاله مردوخ (الالـه القومي للبابليين وبطل اسطورة التكوين فـي النسخة البابلية) لقيادة الحملة ضد هجـوم تيامة ••

وبالفعل استطاع البطل الاله مردوخ دحر جيوش تيامة وتمكن من قتلها • بعـدئذ ، تقول الاسطورة البابلية ، انه شطر جسمها الى شطرين فخلق من احدهما السماء ومن الآخـر الارض ثم تبع ذلك خلق الانسان والنبات والحيـوان والحرف والصناعات ••

يقول الاستاذ جاكبسون[٩] بانه في خلال استقصائه لجـذور ومدلولات اسطورة التكوين البابلية بان الفيضانات السنوية في وادي الرافدين كانت في مفهوم الفرد عبارة عن تجسيد لطغيان المياه الازلية الاولى وما كلف الالهة من صراع عنيف لكبح جماحها • ولذلك فقـد كان من المحتم على الالهة أو ممثليها في الارض (كالملوك والكهنة) خوض هذه المعركة وكسبها كل عـام مثلما فعلت الالهة في الدهور الاولى والا تهدد الكون بالفناء • لقد كان هـذا الايمان باسطورة التكوين السبب في ظهور ما يعرف باحتفال رأس

(٩) Jacobsen, Before Philosophy, (1954), p. 214-15.

السنة الذي بقي يقام سنويا في وادي الرافدين الى قرون متأخرة جدا من تاريخ الحضارة البابلية ، ولعل من أهم وأبرز الطقوس المتشعبة لهذا الاحتفال قيام الملك بتقمص شخصية الاله مردوخ ، بطل اسطورة التكوين البابلية وبمحاربة كنكو ، قائد قوات تيامة والقضاء عليه في مسرحية دينية هي عبارة عن تمثيل لوقائع اسطورة التكوين .

لقد كانت اقامة مثل هذه الطقوس كل عام امرا ضروريا وحيويا من وجهة نظر الفرد في العصور القديمة والذي كان ينطلق في فهمه وتفسيره للظواهر الطبيعية والحضارية من منطق يختلف تمام الاختلاف عن منطق الانسان المعاصر . تقول (Mircea Eliade) بهذا الشأن[١٠] ان الانسان المعاصر يعتبر نفسه حصيلة «التاريخ» بينما يعتبر انسان العصور القديمة نفسه حصيلة احداث اسطورية ودينية . فالانسان المعاصر مدين في واقعه الفكري والمادي الى سلسلة متواصلة من المنجزات والاحداث التي وقعت عبر تاريخه الطويل اسهمت في تطوره العلمي والفني والادبي . اما انسان العصور القديمة فقد كان حاضره يرتبط بسلسلة احداث صنعتها قوى خارقة في البدء . أي ان الابطال الذين صنعوا تاريخه كانوا آلهة وهو لذلك تاريخ مقدس[١١] يجد الانسان القديم نفسه ملزما ليس فقط بمعرفته ولكن باعادته من وقت لآخر . وهنا يكمن فرق جوهري بين عقلية الانسان القديم والانسان المعاصر . فقد يجد الاخير مايبرر تخليد أو استعادة ذكرى حادثة معينة غير انه لايجد مبررا لاعادة تمثيل وقائع تلك الحادثة . وعلى النقيض من ذلك فقد كان امرا ضروريا وممكنا بالنسبة للانسان القديم اعادة ماحدث في البدء عن طريق اقامة الطقوس . ذلك لان معرفة الانسان القديم بالاساطير اي لتاريخه المقدس كان امرا ضروريا ليس فقط لانها تعطيه تفسيرا لاسرار الكون وعن كيفية وجوده بالذات في هذا الكون وانما لانه يستطيع من خلال استذكار الاساطير ومن خلال اعادة وقائعها ان يعيد ما صنعته الالهة والابطال والاجداد في البدء[١٢] .

لذلك فقد كان منطقيا ان يقيم السومريون والبابليون سنويا احتفال رأس السنة Zagmug بالسومرية ؛ Zagmukku أو resh shatti بالاكدية) ، على النحو الذي ألمحنا اليه في أعلاه ، فتجري خلاله اعادة لوقائع قصة التكوين كما جاءت في اسطورة التكوين . وبالمثل ، ومن اجل ضمان المظاهر المختلفة للخصب والتكاثر في الطبيعة سواء بين البشر أو الحيوانات أو النباتات ، فقد كان ضروريا اقامة طقوس واحتفالات سنوية يجري خلالها استحداث عملية التخصيب من خلال الطقوس كما احدثتها الالهة في البدء . ولما كانت اساطير الخصب قد جسدت مظاهر الخصب في الالهة ان ـ انا

---

(١٠) Mircea Eliade, Myth and Reality, (1963), p. 12-13.

(١١) حول تعريف الاسطورة بانها « تاريخ مقدس » ، انظر المرجع في الحاشية السابقة ص ٥ وما بعدها .

(١٢) نفس المرجع ص١٣ و٢٨ وما بعدها .

(عشتار) وبزوجها دموزي ، على النحو الذي جئنا على ذكره سابقا ، فقد كان منطقيا لذلك ايضا ان تعاد وقائع ذلك الزواج الالهي كل عام ، فيقوم ممثلو الالهة من البشر ، كالملك أو الكاهن الاعظم ، بتقمص شخصية الزوج الاله دموزي بينما تقوم الكاهنة العظمى بدور الزوجة الالهة ان ـ انا في احتفال كبير يعرف بين المختصين بالزواج المقدس (Hieros Gamus)

ونستطيع القول من خلال استعراضنا للاساطير الخاصة بدموزي وان ـ انا انها تدور في موضوعها اما حول علاقة الحب التي انتهت بزواجهما أو حول المأساة التي حلت بدموزي بعدما أقدمت زوجته على تسليمه الى شياطين الموت . وهذا ما كان يجري بالفعل ايضا عند اقامة الاحتفالات الخاصة بدموزي وان ـ انا ، اذ نجد ان بعضها يكرس لتمثيل وقائع الزواج المقدس (أي زواج الاله دموزي من الالهة ان ـ انا) والبعض الآخر لتمثيل وقائع المأساة (أي موت دموزي) . وسنحاول في الصفحات التالية توضيح هذين الجانبين من العقيدة الخاصة بدموزي وان ـ انا من خلال ما يتوفر من المصادر المسمارية السومرية منها والبابلية .

لا ندري على وجه التحديد متى بدأ القوم في وادي الرافدين باقامة احتفالات زواج الاله دموزي واقامة الطقوس الخاصة بموته ، ويستنتج الباحث من أحد المقاطع في قصة انميركار وحاكم ارتا (Enmerkar and The Lord of Aratta) ان الزواج المقدس كان معروفا في زمن الملك انميركار (في حدود ٢٧٥٠ ق.م) ثاني ملوك سلالة الوركاء الاولى[١٣] .

غير ان الزواج المقدس ، في رأي بعض الباحثين ، لم يتخذ شكلا واضحا الا في زمن الملك دموزي (في حدود ٢٧٠٠ ق.م) رابع ملوك سلالة الوركاء الاولى والذي يفصله عن انميركار ملك واحد . ولقد ذكرنا في بحث سابق[١٤] ، ان الاستاذ كريمر ، مؤلف كتاب « طقوس الزواج المقدس » يعتقد بان فكرة الزواج المقدس كانت بدعة اوجدها كهنة الوركاء عندما جعلوا من ملكهم دموزي زوجا لآلهتهم ان ـ انا (عشتار) التي كان مركز عبادتها في مدينة الوركاء وانه نتيجة لزواجه الديني هذا فقد اضفى عليه الكهنة صفة الالوهية وبهذا صار وبقي الها في ذاكرة الاجيال على مر العصور[١٥] . وقد اوردنا في حينه أيضا عددا من التحفظات بشأن هذه الفرضية وبقي لدينا كلمة أخيرة من المناسب ذكرها في هذا المكان .

ان من أهم الاسباب التي اوحت للاستاذ كريمر بفرضيته القائلة بان دموزي الاله كان ملكا بالاصل هو ما جاء قوله على لسان الالهة ان ـ انا في أحد نصوص الزواج المقدس :

---

(١٣) من جملة ما يذكره انميركار في هذا المقطع انه « سيضطجع مع ان ـ انا في بيت من اللازورد » وانه « سينعم بنوم لذيذ على سرير مزخرف ... » ، انظر :
Kramer, The Sacred Marriage Rite, (1969) p. 58.

(١٤) انظر المرجع المشار اليه في الحاشية رقم ١ .

(١٥) Kramer, op. cit., p. 53-54.

« وامعنت النظر في الناس كلهم ،
فاخترت من بينهم دموزي لالوهية البلاد
دموزي محبوب (الاله) انليل
انه من تعتز به امي دائما
ومن يجله أبي ....[١٦]

ولذلك يجد الاستاذ كريمر في هذا القول دليلا واضحا على أن دموزي كان ملكا دنيويا وانه رفع الى مصاف الالهة بعد ان وقع عليه اختيار الالهة ان ـ انا ليكون زوجا لها .

ان المقطع الذي نحن بصدده الان يعود الى نص سومري طويل يتعلق بالزواج المقدس ، غير ان الرقيم الذي كتب عليه النص مكسور من الجانبين مما ادى الى ضياع اجزاء من محتواه على الوجه والقفا . وهذا النص أيضا مثل سائر نصوص الزواج المقدس مدون في النصف الاول من الالف الثاني ق.م ، ربما في الفترة بين ١٩٥٠ ـ ١٨٠٠ ق.م ، كما انه في مضمونه العام لايختلف عن النصوص المعروفة الاخرى التي كانت تؤلف بمناسبة قيام الملك بدور الزوج الالهي .

لايوجد في الحقيقة دليل أكيد على ان كلمة « دموزي » في هذا المقطع موضوع البحث تشير بالضرورة الى دموزي ملك سلالة الوركاء الاولى اذ ليس من المستبعد اطلاقا ان تشير هذه الكلمة الى ملك آخر اما ان يكون اسمه قد فقد في الجزء المكسور من الرقيم او انه لم يذكر اصلا بل اكتفى بالاشارة اليه بكلمة « دموزي » التي أصبحت لقبا لاي ملك يقوم بدور الزوج الالهي . فهناك حقيقة معروفة لدى الباحثين وهي ان الملك ، ايا كان اسمه ، عندما يقوم بدور الزوج الالهي فانه يصبح من خلال الطقوس الاله دموزي ولذلك فانه ينعت ويوصف باسماء وأوصاف هذا الاله في الاناشيد والصلوات المؤلفة بهذه المناسبة . فالملك شولكي (٢٠٩٥-٢٠٤٨ ق.م) من سلالة اور الثالثة يوصف بانه « الراعي دموزي » و « اما اشمكل ـ انا حرفيا : الام ـ تنين السماء العظيم) وثور الوحش .... وهذه كلها أوصاف للاله دموزي[١٧] . اما عن اختيار ان ـ انا لدموزي ورفعه الى مرتبة « الوهية البلاد » فانه أمر ينسجم تماما مع ما هو معروف عن الملك عندما يقوم بدور الزوج الالهي لانه يصبح الها اثناء الطقوس ، فكل من الملك شوسن (٢٠٣٨-٢٠٣٠ ق.م) ، من سلالة أور الثالثة ، والملك ادن ـ دكان (١٩٧٤ ـ ١٩٥٤ ق.م) ، من سلالة ايسن ينعت بانه « الاله » في انشودة سومرية للزواج المقدس[١٨] .

ولكن وعلى الرغم من هذه المظاهر لتأليه الملك

---

(١٦) حول قراءة وترجمة هذا النص ، انظر :
Proceedings of the American Philosophical Society, vol. 107, no. 8 (1963), pp. 305-308.

(١٧) Kramer, op. cit., p. 63-64.
وانظر أيضا حول مزيد من هذه الاوصاف :
Frankfort, Kingship and the Gods, (1948), pp. 295 ff.

(١٨) Falkenstein and Von Soden, Sumerische und Akkadische Hymnen und Gebete, (1953), p. 69; Kramer, The Sumerians, (1962), p. 252.

في خلال طقوس الزواج المقدس فانه ليس لدينا ما يشير الى ان قيامه بدور الزوج الالهي قد أثر أو غير في مركزه بعد اتمام المراسيم والطقوس ما عدا استعمال علامة الالوهية التي يعتقد انها كانت تضاف الى اسماء اولئك الملوك ممن قاموا بدور « دموزي » في احتفالات الزواج المقدس[١٩] .

وفي اعتقادنا ان الاستاذ كريمر في فرضيته عن الاله دموزي انما يتغافل كليا عمّا هو معروف عن التزاوج بين الالهة في العقيدة الدينية لسكان وادي الرافدين والذي كان زواج الاله دموزي من الالهة ان ـ انا واحدا من الامثلة المشهورة له . فالمعروف عن القدماء في وادي الرافدين انهم جعلوا لكل اله مدينة زوجة خصوها مثله بالعبادة وانهم كانوا يحتفلون سنويا بزواج اله مدينتهم من الهتها وذلك ايمانا منهم بان ذلك الزواج الالهي سيحقق ، على غرار زواج دموزي من ان ـ انا ، زيادة في العطاء والخيرات في مظاهر الطبيعة . وترجع أقدم الادلة الكتابية على هذا الزواج الالهي ، الى زمن كوديا (في حدود ٢١٥٠ ق.م) أمير لكش الثانية والذي يتحدث في أحد نصوصه[٢٠] عن زواج ننكرسو اله مدينة لكش من الالهة باؤ (Ba'u) .

وهناك اشارات الى زيجات الهية أخرى نذكر منها زواج الاله آنو من الالهة انتو في الوركاء ، الاله شمش من الالهة أيا (Aia) في سبار ، الاله مردوخ من الالهة صربانيتم (Sarpanitum) في بابل ، الاله نابو من الالهة تشميتم (Teshmetum) في بورسبا[٢١] . ان هذه الامثلة وغيرها تدل بوضوح على ان التمييز امر واجب بين نوعين من الزواج المقدس اولهما ، ولا

---

(١٩) Frankfort, op. cit. pp. 295 ff.

(٢٠) يقول كوديا في معرض كلامه عن هذا الزواج الآلهي بين ننكرسو و باوء بان « الملك [أي الاله ننكرسو] دخل معبده وكأنه نسر يصوب النظر الى فريسته » ثم يشير الى الالهة باؤ فيصفها « بالزوجة الطيبة التي تعني ببيتها » ويشبهها ، باعتبارها الهة الخصب والعطاء ، بنهر دجلة في أوج فيضانه وببستان مملوء بالفاكهة وفي نهاية المقطع ترد الاشارة الى احتفال الناس بهذه المناسبة فيقول ان « مدينة لكش قضت اليوم في رخاء وان اله الشمس في مدينة لكش رفع الرأس عاليا فوق بلاد سومر » :

Falkenstein and Von Soden, Sumerische und Akkadische Hymnen und Gebete, p. 169-170.

وانظر بخصوص تفاصيل هذا الزواج مقالة:

R. Jestin, "Un Rite Sumérien de Fecondité la marriage du Dieu Nigirsn et de la Désse Baba", Archiv Orientali 17 (1949) pp. 333-339; Van Buren, "The Sacred Marriage in Early times in Mesopotamia", Orientalia (New Series) 13 (1944) pp. 2-4.

(٢١) فيما يلي فقرات مقتبسة من رسالة الى أحد الملوك الآشوريين بخصوص زواج الاله نابو من الالهة تشميتم : « الى سيدي الملك ، هكذا يقول خادمك نركال ـ شراني : تحيات الى سيدي الملك . غدا في الرابع من [أيار (؟)] مساء سيدخل نابو وتشميتم غرفة النوم . وفي (اليوم) الخامس سيقدم لهما من طعام الملك ليأكلا ، وسيكون ناظر (المعبد) موجودا ... وسيبقى الالهان في غرفة النوم في (اليوم) الخامس وحتى العاشر وسيبقى ناظر (المعبد) معهما . وفي اليوم الحادي عشر سيخرج نابو للنزهة ... » . حول الترجمة لنص هذه الرسالة انظر :

Frankfort, op. cit., p. 330.

شك في انه الاقدم ، ما يمكن تسميته بالزواج الالهي والذي يتعلق بزواج اله المدينة من الهتها • والثاني وهو صورة تقليدية للاول ما يسمى بالزواج المقدس (Hieros Gamus) والذي يقوم الملك من خلاله بدور الزوج ـ الاله بينما تقوم الكاهنة بدور الزوجة ـ الالهة • ولذلك فان كون دموزي الها متزوجاً من الالهة ان ـ انا في الوركاء يكون امرا منسجما تمام الانسجام مع بقية الزيجات الالهية الاخرى في المدن المختلفة •

واخيرا فان مما يؤاخذ عليه الاستاذ كريمر في فرضيته انه يغفل الاشارات الواردة عن الاله دموزي في احدى الملاحم السومرية التي وقعت احداثها في زمن الملك انميركار (الملك الثاني في سلالة الوركاء الاولى في حدود ٢٧٥٠ ق٠م) والذي سبق ظهور دموزي (الملك الرابع في حدود ٢٧٠٠ ق٠م) بجيلين على اقل تقدير • ففي الملحمة المعروفة « انميركار وحاكم ارتا » والتي نشرها الاستاذ كريمر عام ١٩٥٢ يرد اسم الاله دموزي صراحة الى جانب اسم « الالهة ان ـ انا التي أحبته »[٢٢] ومعنى ذلك ان الاله دموزي والعقائد الخاصة به كانت مفاهيم دينية معروفة في بلاد سومر في عصر يسبق زمن دموزي الملك من سلالة الوركاء الاولى •

ولابد لنا ، قبل أن نترك سلالة الوركاء الاولى ، التي ما من شك في انه كان للوكها دور رائد في طقوس زواج الهتهم ان ـ انا ، ان نذكر بان تفاصيل قصة عشتار وجلجامش (الملك الرابع من هذه السلالة وخليفة دموزي) هي من دون شك ذات مغزى يتعلق بالزواج المقدس • فالمعروف ان الالهة عشتار عرضت على الملك جلجامش ان يتزوجها وهذه حقيقة تنسجم تماما مع طقوس الزواج المقدس التي كان من ابرزها ان الالهة هي التي تختار زوجها بنفسها كما سنرى ذلك بعد قليل • غير ان رفض جلجامش لطلب الالهة عشتار ومن ثم اهانتها والتشهير بها[٢٣] ما زال يثير كثيرا من التساؤلات ويحتاج الى مزيد من التوضيح •

لقد ذكرنا في موضع سابق بان الزواج المقدس ، أي زواج الملك من الكاهنة ، والذي هو عبارة عن تقليد طقسي لزواج دموزي من ان ـ انا ، كان يجري ضمن احتفالات سنوية خاصة • والحديث عن هذه الاحتفالات يقودنا اول الامر الى ذكر النظرية القائلة بأن نفائس الآثار المكتشفة في « المقبرة الملكية في اور » التي يرجع تأريخها الى حدود ٢٧٠٠-٢٦٠٠ق٠م ما هي في الواقع الا بقايا لتلك الاحتفالات الطقسية الخاصة بالزواج المقدس في اور في عصر مبكر من تاريخ سومر • ففي سنة ١٩٢٧ عثر المنقب السير وولي على مجموعة ثمينة من الاواني والاكواب والخناجر والخوذ والحلي والقيثارات وادوات اخرى متنوعة مصنوعة من

(٢٢) Kramer, Enmerkar and The Lord of Aratta, (1952), p. 43, lines 367-377.

(٢٣) حول مزيد من التفصيلات بهذا الخصوص ، انظر بحثنا المشار اليه في الحاشية رقم (١) •

الذهب والفضة والاحجار الثمينة • وكشفت تنقيبات وولي في هذه المقبرة عن حوالي الفي قبر من بينها ستة عشر قبرا يعتقد انها كانت مدافن « ملكية » تتميز عن قبور العامة بكونها ابنية تحت الارض لكل منها غرف يتراوح عددها في المدفن الواحد بين غرفة واحدة وأربع غرف كما تتميز ايضا باحتوائها على عدد من جثث الموتى يتراوح عددهم في المدفن الواحد بين ثلاثة اشخاص واربعة وسبعين شخصا • وقد دفن هؤلاء بكامل ملابسهم وحليهم واسلحتهم مع العربات والثيران التي تجرها[٢٤] •

وينقسم الباحثون في رأيهم حول تفسير هذه المقابر « الملكية » الى جماعتين : الاولى وعلى رأسها السير وولي ، تعتقد بان هذه المقابر وما فيها من جثث انما تمثل تضحية بشرية من الاتباع والحاشيه من أجل سيدهم الملك ـ الاله لمصاحبته في رحلته الى العالم الآخر وهي عادة معروفة عند بعض الشعوب القديمة مثل المصريين السكيثيين والمغول ، وان كانت مثل هذه المقابر غير معروفة في وادي الرافدين في مكان آخر غير أور •

اما الجماعة الثانية ، وعلى رأسها الاستاذ مورتكات[٢٥] ، فانها تعتبر هذه المقابر عبارة عن بقايا الاحتفالات بالزواج المقدس في الألف الثالث ق•م (٢٧٠٠ـ ٢٦٠٠ق•م) والتي تتضمن طقوس ومراسيم اعتقد القدماء باهمية اقامتها سنويا لتوفير مظاهر الخصب للمجتمع البشري • وبموجب هذه النظرية فقد كان على الملك (اومن ينوب عنه كالكاهن الاعظم) القيام بدور الزوج ـ الاله دموزي بينما تقوم الملكة (أو من ينوب عنها كالكاهنه العظمى) بدور الزوجة ـ الالهة ان ـ انا • ويفترض اصحاب هذه النظرية انه بعد انتهاء الملك من انجاز طقوس الزواج المقدس فانه كان يقتل ومن ثم يدفن ، وان العملية كلها كانت عبارة عن محاكاة طقسية لزواج دموزي ومن ثم موته ونزوله الى العالم السفلي (على غرار ماسيأتي ذكره عن مأساة هذا الاله) ولما كان دموزي يموت ليبعث من جديد ، فان جثة الملك المقتول ، بموجب هذه الفرضية ، كانت ترفع من القبر من بعد ذلك تعبيرا عن بعث دموزي وخروجه من العالم السفلي [٢٦] •

ان التفضيل بين هاتين النظريتين ليس امرا سهلا ذلك لان في كل منهما نقاطاً ما زالت تحتاج الى مزيد من التوضيح والأدلة على اثباتها • ولما كانت مثل هذه المقابر لم تعرف الا نادرا خارج مدينة اور ، ولان هذه المقابر ايضا لم تستمر في مدينة اور نفسها لاكثر من قرن ، فقد كان منطقيا ان يلجأ القائلون بكلتي النظريتين ، على الرغم من

---

(٢٤) Woolley, Ur of The Chaldees, (1930) pp. 58-65.

(٢٥) Moortgat, Tammuz, (1949) pp. 53 ff.

(٢٦) ان ما ذكرناه في أعلاه حول هاتين النظريتين بخصوص المقابر الملكية في اور عبارة عن ملخص مبسط اذ حاولنا عدم الدخول في التفصيلات والمشاكل الخاصة بهما ، ويجد القارىء استعراضا لرأي الاستاذين وولي و مورتكارت مع مقارنة بينهما في كتاب :
Saggs, The Greatness that was Babylon, (1962), pp. 372-382.

اختلافهما الواضح ، الى الافتراض بان عاده التضحية البشرية سواء للملك المؤله أوفي اثناء الزواج المقدس ، لم تمارس الا لفترة قصيرة فقط في بلاد سومر • وعلى الرغم من اختلاف وتشعب الآراء ، فيبدو لنا ان الزواج المقدس ربما كان أكثر ملائمة لتفسير المقابر الملكية في أور وخاصة لانه بقي حقيقة ، معروفة في العصور التأريخية اللاحقة في بلاد سومر واكد • واذا ما صحت مثل هذه الفرضية فيمكن القول بان « مسرحية » الزواج المقدس كانت في اطوارها الاولى تتسم بطابع التقليد الفعلي ـ البدائي لموت وبعث دموزي ، وانها بعد ذلك ، وبمرور الزمن ، أصبحت مسرحية تمثيلية ـ طقسية لا تستلزم اقامتها تضحية القائمين بادائها •

واذا ما انتقلنا من سلالة اور الاولى ومقابرها الى الفترة التاريخية اللاحقة أي الى عصر فجر السلالات ، فاننا نجد ان هناك اشارات يستنتج منها وجود الزواج المقدس وقيام امراء ذلك العصر بدور الزوج الالهي • ومن ذلك ما يذكره أي أنـاتم Eannatum ٢٥٥٠ ق•م) أحد امراء سلالة لكش الاولى ، انه « الزوج المحبوب للالهة ان ـ انا » وما يذكره انتمينا (Entemena ٢٥٠٠ ق•م • ان الالهة ان ـ انا أحبته وانها لذلك اعطته ملوكية كيش بالاضافة الى امارة لكش • ويجد الباحث في نصوص كوديا (٢١٥٠ ق•م) امير سلالة لكش الثانية ، اشارات صريحة الى قيام هذا الامير بدور الزوج للالهة باؤ في لكش والى تأدية الطقوس والمراسيم الخاصة بهذا الزواج (كالاغتسال الطقسي وتقديم هدايا الزواج والقرابين)[٢٧] •

غير ان أهم النصوص السومرية الخاصة بالزواج المقدس والتي بحوزتنا في الوقت الحاضر ، سواء من حيث الموضوع أو التفصيلات، تعود الى ملوك سلالة اور الثالثة مثل شولكي (٢٠٩٥–٢٠٤٨ ق•م) وشو ـ سن (٢٠٣٠–٢٠٣٨ ق•م) والى بعض ملوك سلالة ايسن الامورية مثل الملك ادن ـ دكان (١٩٧٤–١٩٥٤ ق•م) •

ويستطيع الباحث في ضوء هذه النصوص ان يستخلص صورة جيدة لما كان يجري في خلال الزواج المقدس من مراسيم وأجراءات • وكانت اولى الخطوات التي تتضمنها مراسيم الزواج المقدس اختيار الزوج الذي يقدم بدور الاله دموزي • ويفهم من النصوص ذات العلاقة ان الاختيار كان يتم من قبل الالهة أن ـ انا نفسها هذا من الوجهة النظرية بالطبع ، وان كان الملك هو المرشح الطبيعي دائما للقيام بهذا الدور باعتباره الممثل الشرعي للآلهة • ونذكر هنا على سبيل المثال مايقوله اشمي ـ دكان (١٩٥٣ – ١٩٣٥ ق•م) ملك ايسن عن نفسه : « انا الذي اختارتني ان ـ انا ، ملكة السماء والارض • لاكون زوجها المحبوب »[٢٨]

---

(٢٧) Van Buren, "The Sacred Marriage in Early Times in Mesopotamia", Orientalia NS, vol. 3 (1944) pp. 43 ff.

(٢٨) Ibid., p. 297.

لقد كان منطقيا ان يكتسب الملك الذي يقوم بدور الاله دموزي صفة الالوهية اثناء الزواج المقدس وهذا مايفسر نعته بـ « الاله » وبالنعوت الاخرى الخاصة بالراعي دموزي • غير انه ليس هناك مايشير اطلاقا الى ان قيام الملك بمثل هذا الدور كان ليغير من طبيعته الدنيوية فيصبح الها في نظر القوم • ومع ذلك فانه يبدو ، في رأي بعض الباحثين ، ان مسحة من التالية،أو التقديس بتعبير أصح ، كانت تسبغ على اولئك الملوك الذين يقومون بدور الزوج الاله وذلك بان تضاف الى اسمائهم علامة التقديس (وهي علامة النجمة) [٢٩] •

وبطبيعة الحال فقد كان الزواج المقدس يستلزم ايضا قيام امرأة بدور الزوجة (الالهة ان ـ انا) • وقد جرت العادة على اختيارها من بين كاهنات المعبد • وكدليل واضح على دور الكاهنة وعلى علاقتها بالملك ، باعتبارها زوجة له في طقوس الزواج المقدس ، نذكر انه عثر في منطقة معبد أي ـ انا (Eanna) وهو المعبد المخصص للالهة ان ـ انا في الوركاء ، على قلادتين كتب على خرزة في القلادة الاولى عبارة « ابابشتي (Ababashti) الكاهنة ـ الناديتو [٣٠] محبوبة شو ـ سن ملك اور » • وكتب على خرزة في القلادة الثانية عبارة « كوباتم (Kubatum) الكاهنة ـ النايتو محبوبة شو ـ سن » [٣١] ويظهر ان كوباتم هذه قد حظت باستحسان الملك شو ـ سن من خلال الزواج المقدس بحيث انها اصبحت من بعد ذلك احدى حريم قصره أو « ملكة » على حد تعبير النص السومري [٣٢] •

يتضح من النصوص المسمارية من زمن الملك شولكي ان الزواج المقدس كان يقع في « يوم رأس السنة ، يوم الطقوس » وان الملك يقوم في ذلك اليوم «يوم القمر الجديد ويوم رأس السنة» بتأدية الطقوس والمراسيم • ويظهر من ذلك أن الزواج المقدس كان المحور الاساس الذي يدور حوله عيد رأس السنة في خلال الالف الثالث والنصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد ولكن وبمرور الزمن فقد تداخل الزواج المقدس مع طقوس واحتفالات دينية اخرى وصار في الالف الاول قبل الميلاد جزءا من الاكيتو (Akitu)

---

(٢٩) Ibid., p. 224-226; p. 297.

(٣٠) كانت الكاهنة من صنف ناديتو (في السومرية : لوكور) واحدة من الاصناف العديدة من كاهنات المعبد في وادي الرافدين • وتأتي هذه الكاهنة في المرتبة الثانية بعد « الانتو » (Entu) وهي الكاهنة العظمى التي كانت تعتبر في الواقع « زوجة الاله » • ومن المعروف عن الكاهنة العظمى انها كانت في العصور السومرية القديمة تقوم بدور الزوجة ـ الالهة مع الكاهن الاعظم « اينو » (Enu) الذي يقوم بدور الزوج ـ الاله في مراسم الزواج المقدس • ولذلك فان كون كل من ابابشتي و كوباتم من صنف « القادشتو » انما هو مجرد صدفة ولا يعني اطلاقا انه كان يشترط دائما في الكاهنة التي تختار للقيام بدور الزوجة أن تكون من هذا الصنف •

(٣١) Van Buren, op. cit., p. 52.

(٣٢) Kramer, The Sacred Marriage Rite, p. 93-94.

أي اعياد رأس السنة والتي كانت تستمر أحد عشر يوما (٣٣) .

لقد كانت مراسيم الزواج المقدس تقام ، كأي احتفال ديني آخر ، في المعبد عادة وتحت اشراف الكهنة . وكان زواج الملك (ـ الاله) من الكاهنة (ـ الالهة) يتم في جناح خاص من المعبد يعرف بالسومرية اي ـ كيبار (Egipar) (٣٤) وفي هذا المكان (٣٥) كان يعد للزوجين سرير من خشب الارز يطعم باللازورد ومجهز بفراش وثير وأغطية جذابة .

ويمكننا القول في ضوء التفصيلات التي تذكرها النصوص المسمارية الخاصة بالزواج المقدس ان ابرز المراسيم التي كان يتضمنها هذا الزواج هي كالآتي :

١) وصول موكب الملك الى معبد الالهة ان ـ انا :

مما يذكر بهذا الخصوص ان الملك شولكي استقل سفينة من عاصمته أور الى مدينة الوركاء مركز عبادة الالهة ان ـ انا وانه جلب معه القرابين: ثيران بريةواغنام وماعز لتقديمها الى الالهة في معبدها الذي احتشدت عنده الجماهير لتحي موكب الملك . ولاشك في ان مدينة الوركاء كانت في زمن الملك شولكي تابعة لامبراطورية أور الثالثة وهذا ما يجوز للملك السومري تأدية طقوس الزواج المقدس في معبد هذه المدينة الخاصة بالهة الخصب .

٢) تقديم الملك الى عروسه الكاهنة :

بعد ان يرتدي الملك بدلة خاصة بهذه المناسبة ويضع على رأسه التاج يقوم احد الكهنة بتقديمه الى عروسه الكاهنة أي « يأخذ بيده الى حجر الالهة ان ـ أنا » على حد تعبير احد النصوص السومرية . وتستقبل الكاهنة زوجها الملك وهي في أجمل ثيابها وابهى زينتها واغلى

---

(٣٣) اذا استثنينا ملاحظات المؤرخ اليوناني هيرودتس عن الزواج المقدس في بابل في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد والتي سنأتي على ذكرها في موضع لاحق ، فليس لدينا في الواقع أية معلومات عن الزواج المقدس الذي أصبح من ضمن احتفالات الآكيتو . والسبب في ذلك يعزى الى فقدان أجزاء من الرقيم الطيني الذي دونت عليه مراسيم وطقوس الاكيتو وخاصة ماكان يجري منها بين اليومين السادس والحادي عشر . ونحن لذلك لا نعرف أيضا عما اذا كان الزواج المقدس في الالف الاول قبل الميلاد يختلف عما كان عليه في الالف الثالث والذي بحوزتنا عنه معلومات وافية . حول النص البابلي لمراسيم الزواج المقدس انظر :

Ancient Near Eastern Texts (Second edition 1955), pp. 331 ff.

وانظر كذلك الملاحظات التي أوردها ساكس بهذا الصدد في كتابه :

The Greatness that was Babylon, pp. 382-383; 388.

(٣٤) ان هذا الجزء من المعبد مخصص عادة لسكنى الكاهنة العظمى أو الكاهن الاعظم .

(٣٥) في الحقيقة ان كلمة « قصر » الواردة في احدى الاناشيد الخاصة بالزواج المقدس للملك ادن ـ دكان لا تشير بالضرورة الى مكان وضع سرير الزواج كما افترض ذلك الاستاذ كريمر (The Sacred Marriage Rite, p. 84-85)

اذ من المعروف ان الزواج المقدس ، باعتباره جزءاً من العقيدة الدينية ، كان لا بد وأن تقام شعائره في المعبد لا القصر . حول gipar, egipar كمحل للزواج المقدس وطقوس الخصب في المعبد انظر :

The Assyrian Dictionary, vol. 5, p. 83-84.

حليها • وتصف النصوص المسمارية ذات العلاقة بالموضوع كيف انها كانت تستعد للحظة اللقاء هذه فتغتسل بالماء والصابون وتطيب جسمها بالدهان والعطور وفمها بالعنبر وتزين عينيها بالكحل ثم ترتدي الثياب النفيسة وتلبس الاساور والخواتم والقلائد المصنوعة من الذهب والاحجار الكريمة(٣٦) •

ويمكن القول في ضوء التفصيلات الواردة في النصوص المسمارية انه ما ان يتم تقديم الملك الى عروسه حتى تبدأ الاخيرة بترديد أغنية عاطفية تتضمن دعوة سافرة الى « الوصال الجنسي » باعتباره العنصر الاساس الذي تدور حوله عقيدة الخصب وما تمخض عنها من طقوس • ومن خلال هذه الاغنية تبوح العروس الى عريسها ـ الملك عن شوقها العميق وعن فرحتها بلقائه ومن ثم تدعوه الى ان يبادلها « الحب » على سرير الزواج • ومن الامثلة على هذه الاغاني نقتبس هنا مقطوعة انشدتها احدى الكاهنات الى عريسها شو ـ سن (٢٠٣٨-٢٠٣٠ ق•م) رابع ملوك سلالة اور الثالثة فهي تقول :

ايها العريس العزيز على قلبي ،
ما ألذ « وصالك » ، حلو كالشهد ،
لقد اسرتني فها انا أقف مرتعشة امامك ،
ايها العريس ليتك اخذتني الى غرفة النوم ،
لقد أسرتني فها أنا أقف مرتعشة امامك ،
ايها الاسد ليتك اخذتني الى غرفة النوم ،
ايها العريس دعني اقبلك ،
فقبلتي العزيزة احلى من الشهد ،
وفي غرفة النوم المملوءة شهدا
دعني اتمتع بجمالك اللطيف •
ايها الاسد دعني اقبلك ،
فقبلتي العزيزة احلى من الشهد ،
ايها العريس لقد نلت مني رغبتك ،
فاخبر أمي لكي تعطيك ما لذ وطاب ،
واخبر أبي لكي يقدم لك الهدايا ،
نفسك •• اني اعرف اين ادخل السرور الى نفسك !
ايها العريس تعال ونم في بيتنا حتى الفجر •
قلبك •• اني أعرف أين أدخل السرور الى قلبك !
ايها الاسد تعال ونم في بيتنا حتى الفجر •
وانت ما دمت تحبني
أتوسل اليك ان اقبلك

---

(٣٦) في رقيم يعود تاريخه الى الملك البابلي سمسو ديتانا (١٦٢٥ ـ ١٥٩٥ ق•م) يأتي ذكر أصناف الملابس وأوصاف الحلي الخاصة بالالهة عشتار والتي كانت موجودة في احدى المعابد البابلية • وتتضمن تلك الموجودات خاتمين من الذهب ، قلب من الذهب ، تسع عشرة قطعة ذهبية تمثل أنواعا من الفاكهة ، قطعتان من الذهب لزينة الصدر ، قرطان من الذهب ، ستة أختام اسطوانية ، ثلاث تنورات من الكتان ، ستة أشرطة من الصوف ، تمثال من الفضة للالهة الام ، ثلاثة مآزر • والراجح في اعتقادنا ان هذه الاشياء كانت من جملة ما يخصص لاستعمال الكاهنة عندما تقوم بدور الالهة عشتار في الزواج المقدس • انظر :

Leemans, Ishtar of Lagaba and her Dress (1952), pp. ff.

يا سيدي الاله يا سيدي الحافظ
يا شو ـ سن يا من يدخل السرور الى قلب انليل
اتوسل اليك ان اقبلك ...[٣٧] .

ويظهر من نص سومري للملك ادن ـ دكان ان الكاهن الذي يقوم **بتقديم الملك الى الكاهنة** يقرأ هو الآخر دعاء بين يدي الزوجة الالهية **يطلب فيه ان تسبغ بركاتها على سيده الملك وان تنعم عليه بحكم طويل وعرش راسخ وصولجان** يهدي به الرعية **وان توطد سلطانه في داخل** البلاد وخارجها . **ولان الغرض من اقامة** الزواج المقدس **اصلا هو الاستزادة من الخصب** والبركة **للمجتمع البشري لذلك يدعو الكاهن من** ممثلة الهة الخصب **ان تتفضل على البلاد** بالخيرات والنعم **في سبيل ان يكثر الحب وينمو** الزرع وتأتي الانهار بمياه وافرة والاهوار باسماك وطيور كثيرة **وان يتكاثر القصب في الاهوار وان تنمو الاشجار في السهول وان** تزدهر البساتين فيكثر فيها الكرم **والعسل** . وكمثال على ذلك نترجم فيما يلي **النصف الثاني** من الرقيم السومري الخاص بزواج ادن ـ دكان ملك ايسن « الذي اخذه الكاهن من يده وجاء به مباركا الى حجر ان ـ انا » **داعيا من اجله** ومن اجل البلاد **وقال :**

عس ان يستمتع سيدي الذي دعوته الى قلبك .
الملك زوجك المحبوب ، بايام طويلة في حجرك المقدس اللطيف .
وعسى ان تمنحيه حكما صالحا وممجدا .
وتمنحينه عرش الملوكية على اسس مستديمة وتمنحينه الصولجان والعصا والمحجن التي يقود بها الشعب ،
وتمنحيه تاجا مستديما واكليلا يرفع الرأس
وتمنحيه ـ من حيث تشرق الشمس الى حيث تغرب الشمس ،
من الجنوب الى الشمال ،
من البحر العلوي الى البحر السفلي
من حيث (تنمو) شجرة الخولوبو[٣٨] الى حيث ينمو الارز ،
(و) على كل سومر واكد ـ العصا والصولجان .
وعسى ان يمارس رعاية ذوي الرؤس السود (حيثما) استوطنوا ،
وعسى ان يجعل الحقول منتجة كالفلاح ،
وعسى ان يكثر حظائر الاغنام كالراعي الامين .
وفي ظل حكمه عسى ان يكثر الزرع وعسى ان يكثر الحب ،
وفي النهر عسى ان يأتي الفيض .

---

(٣٧) حول النص السومري لهذه المقطوعة، يراجع :
Cig and Kramer, Belleten of the Turkish Historical Commission, vol. 16, pp. 345 ff.
ويجد القارىء ترجمتين لهذا النص ، بينهما بعض الاختلافات ، للاستاذ كريمر في :
The Sumerians, p. 254; The Sacred Marriage Rite, p. 92-93.

(٣٨) بخصوص شجرة الخالوب يراجع :
The Assyrian Dictionary, vol. 6, pp. 55-56.

وفي الحقل عسى ان تتوفر الحنطة الى وقت متأخر ،
وفي الاهوار عسى ان ... الاسماك وان تزقزق (؟) الطيور ،
وفي أجمة القصب عسى ان ينمو القصب القديم والقصب الجديد عاليا ،
وفي السهل عسى ان تنمو اشجار المشجور (Mashgur) عاليا ،
وفي الغابات عسى ان تتكاثر الغزلان والماعز البري ،
وعسى ان تنتج البساتين المسقية العسل والخمر ،
وفي الحقول عسى ان ينمو الخس والرشاد عاليا ،
وفي القصر عسى ان تكون هناك حياة طويلة، والى دجلة والفرات عسى ان تأتي مياه فائضة ،
وعلى ضفافها عسى ان ينبت العشب عاليا وعسى ان تكتسي المروج (بالخضرة) .
وعسى ان تجعل الملكة المقدسة للخضار من الحب أكواما وأكداسا ،
ياملكتي ! يا ملكة الكون ! الملكة التي تحتضن الكون ،
عساه أن يستمتع بأيام طويلة في حجرك المقدس (٣٩) ،

٣) المضاجعة :

لا شك في ان الاتصال الجنسي بين الملك والكاهنة من خلال الزواج المقدس له مدلول ديني بحت اذ انه وبقية التفصيلات الاخرى لهذا الزواج عبارة عن محاكاة طقسية لزواج الهه الخصب ان ـ انا من اله الماشية والخضار دموزي، تلك المحاكاة التي عن طريقها كان يعتقد بامكانية استحداث اسباب الخصب والرخاء على النحو الذي شرحناه في موضع سابق من هذا البحث .

٤) تقرير المصير :

بعد الاتصال الجنسي تبدأ الزوجة الالهة بتقرير المصير (decree of fate) للملك والبلاد . والحقيقة فان تقرير المصير هذا يعتبر الهدف الاساس الذي من أجله كان يقام احتفال الزواج المقدس لانه عن طريقه فقط يستطيع الملك ان يضمن لنفسه حكما وطيدا ولشعبه الرخاء والطمأنينة في خلال السنة التالية من حكمه .

ويعني تقرير المصير ان الالهة ان ـ انا (أو مثلتها الكاهنة) تستطيع ان تمنح بقدرتها الالهية ما تشاء منحه الى الملك والشعب . وعلى الرغم من ان الالهة ان ـ انا هي التي تقرر المصير في الزواج المقدس فيبدو ان تحقيق ما تمنحه من أسباب القوة والمنعة للملك والخير والبركة للشعب منوط ايضا باقرار آلهة عليا يأتي في مقدمتها ابوها آنو اله السماء وانليل اله العواصف . ومن المعروف في عقيدة سكان وادي الرافدين انه عندما يتم تقرير المصير فان ما منحته للملك

(٣٩) حول النص السومري بأكمله ، انظر: Proceedings of the American Philosophical Society, vol. 107 no. 6 (1963) pp. 501-503.

والشعب والبلاد سوف يتحقق وانه غير قابل للتغيير في خلال كل السنة التالية • وكمثال على تقرير المصير في الزواج المقدس نقتبس مقطعا من نص سومري مطول تتحدث فيه الزوجة الالهية الى زوجها الملك شولكي ، عما ستحقق له من اسباب القوة والمنعة فها هي تقول :

« في الحرب سأكون قائدك ، وفي المعركة سأكون ساعدك[٤٠] ،

وفي المجلس سأكون نصيرك ،

وعلى الطريق سأكون حياتك ،

انت ، ايها الراعي المختار في البيت (؟) المقدس (؟) ،

انت ، يا مؤازر (؟) المعبد العظيم لانو ،

في كل الاحوال انت كفوء :

لان ترفع رأسك على العرش العالي ـ انت كفوء ،

لان تجلس على عرش من اللازورد ـ أنت كفوء ،

لان تضع التاج على رأسك ـ انت كفوء ،

لان تلبس ثيابا طويلة على جسمك ـ أنت كفوء ،

لان ترتدي بدلة الملوكية ـ انت كفوء ،

لان تحمل الصولجان والسلاح ـ أنت كفوء،

لان تعلق عصا الرماية والمقلاع في جنبك ـ انت كفوء ،

والصولجان المقدس في يدك ـ انت كفوء ،

والنعلين المقدسين في قدميك ـ انت كفوء ،

ولان تثب على صدري المقدس مثل عجل[٤١]

« اللازورد » ـ انت كفوء ،

وعسى ان تطول ايام قلبك المحبوب ،

هكذا قرر المصير لك الاله آنو ، فعسى الا يتغير ،

والاله انليل ، مقرر المصير ، فعسى الا تتغير ،

انت من تعتز به ان ـ انا ومن تحبه تنكال[٤٢] ،

٥) اقامة احتفال ووليمة كبرى :

كانت طقوس الزواج المقدس تختم عادة باحتفال ووليمة يقيمها الملك في القصر على شرف زوجته الكاهنة • ونفهم من ترنيمة سومرية مطولة ، الى الالهة ان ـ انا والى الملك ادن ـ دكان (باعتباره بديلا للاله دموزي) ، انه قد اعدت منصة خاصة لهذه المناسبة ليجلس عليها الملك وزوجته الكاهنة التي « بدت وكأنها ضوء نهار الى جانبه » على حد تعبير النص السومري• ونفهم من هذه الترنيمة ايضا انه كان يجري استعراض كل مظاهر « الوفر والفرح والرخاء » امام الزوجة الالهية ، وهي المظاهر التي كان يتواخاها الاقدمون من اقامتهم طقوس الخصب ، بعد ذلك تمر حشود الناس امام المنصة وهي تهتف وتصفق على انغام الآلات الموسيقية

---

(٤٠) باعتبارها الهة الحرب ، انظر حول ذلك بحثنا المذكور في الحاشية (١) •

(٤١) لا يخفى ان « العجل » و « الثور » يرمزان الى القوة الخلاقة وكلاهما من ألقاب الاله دموزي •

(٤٢) أم الالهة ان ـ انا •

المختلفة ، وعندئذ يقدم الطعام والشراب بسخاء .

هذه التفصيلات وغيرها كان قد سجلها شاعر سومري في خاتمة ترنيمة مطولة (٤٣) عن زواج الملك ـ ادن ـ دكان فهو يقول :

« حول كتفي عروسه المحبوبة كان يضع ذراعه ،

حول كتفي ان ـ انا المقدسة كان يضع ذراعه ،

فكانت مثل ضوء النهار وهي تعتلي العرش على دكة العرش العظيمة ،

والملك ، كأنه الشمس وهو يأخذ مكانه الى جانبها ،

(وكانت كل مظاهر) الوفر والفرح والرخاء تستعرض أمامها ،

والطعام الشهي موضوع أمامها ،

وذوي الرؤس السود(٤٤) يمرون من امامها (مرددين) :ـ

على (دقات) طبل (؟) صوته أعلى من الرعد ،

وعلى أنغام عذبة من الجار(٤٥) (Elgar) زينة القصر ،

وقيثارة تنعش الروح ،

ايها المغنون دعونا نغني أغنية تبهج القلب ،

ثم مد الملك يده الى الطعام والشراب ،

أما اشومكل ـ انا (Amaushumgal-anna) مد يده الى الطعام والشراب ،

فكان القصر في عيد والملك في سرور ،

وكان الناس يقضون النهار في نعيم » .

ذكرنا من قليل ان الزواج المقدس استمر في خلال العصور التأريخية اللاحقة وانه على الارجح اصبح في الألف الاول ق.م جزءا من احتفالات الاكيتو السنوية . ولسنا ندري ما اذا كان الزواج المقدس في هذه الفترة المتأخرة بقي مشابها في طقوسه وتفصيلاته لما كان عليه في الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد ، وذلك لان معلوماتنا عنه تصبح نزوة بشكل واضح من بعد عصر ايسن ـ لارسا بحيث يصعب علينا تتبع الموضوع بشكل أكيد . وكانت آخر الاشارات عن عقيدة الزواج المقدس في وادي الرافدين قد وردت ضمن ما كتبه هيرودتس عن مشاهداته في بابل خلال منتصف القرن الخامس قبل الميلاد . يقول هيرودتس عن المعبد وعن الزقورة ما نصه : « وكان بالامكان الصعود الى كل الابراج (طبقات الزقورة) الثمانية عن طريق سلم حلزوني يدور من الخارج وفي حوالي منتصف الطريق الى الاعلى كانت هناك مقاعد لاستراحة الصاعدين . وفي قمة البرج العلوي يوجد معبد كبير فيه سرير واسع عليه غطاء ثمين

---

(٤٣) Falkenstein und Von Soden, Sumerische und Akkadische Hymnen und Gebete, pp. 90-99.

(٤٤) كناية عن الناس بصورة عامة ، أنظر حول ذلك التعبير الاكدي The Assyrian Dictionary, vol. 16, Salmat qaqqadi pp. 75 ff.

(٤٥) آلة موسيقية لا يعرف نوعها على وجه التحديد .

وبجانبه منضدة من ذهب ، وكان المحراب خاليا من أي تمثال ولايقضي الليل احد هناك ، اذا جاز لنا ان نصدق الكلدانيين الذين كانوا كهنة بعل ، الا امرأة واحدة آشورية كانت (تبقى) لوحدها والتي اختارها الاله (لنفسه) ، ويقول الكلدانيون ايضا ، على الرغم من انني لا اصدقهم بان الاله كان يدخل المعبد ليستريح على السرير » (٤٦) ..

من الواضح ان ما شاهده هيرودتس وماقاله كهنة بابل عن « المرأة الاشورية التي اختارها الاله والتي كانت تقضي الليل وحدها في المحراب » وعن « الاله الذي كان يدخل المعبد ليستريح على السرير » ، انما يقع ضمن اطار طقوس الزواج المقدس ، تلك الطقوس التي لم يكن هيرودتس يعرف مدلولاتها وانها كانت تمتد في جذورها الى آلاف من السنين . ومن الواضح ايضا ان المرأة التي نحن بصددها الآن ما هي الا كاهنة من صنف انتو (entu) أي الكاهنة العظمى ، لانها كانت تكرس أصلا لتكون زوجة للاله بموجب ما تذكره النصوص المسمارية . وعلى أية حال فاننا لا ندري ما اذا كانت هذه الكاهنة البابلية التي تكرس للزواج المقدس في هذا العصر المتأخر تقضي ليلة الزواج وحدها، أم انها كانت ، باعتبارها زوجة للاله ، تتزوج من ممثلة الملك على النحو الذي عرفناه في خلال الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد .

وفي خاتمة حديثنا عن الزواج المقدس ودور كاهنة المعبد في ذلك نرى انه من المناسب الاشارة ولو بصورة عابرة الى طقس ديني آخر بقي معروفا في بلاد بابل الى أيام هيرودتس ايضا وهو ما يعرف بالبغاء المقدس (Sacred Prostitution) والذي كان يرمز هو الآخر الى أهمية الجنس لادمة الحياة وخلق مظاهر الخصب المختلفة كما انه ، مثل الزواج المقدس ، يعود في جذوره البعيدة الى المعتقدات الخاصة بالالهة واله الخصب .

من المعروف ان المعبد في وادي الرافدين كان يضم اصنافا من الكهان والكاهنات من مراتب مختلفة ، وبقدر ما يتعلق الامر بالكاهنات فقد كانت أنتو (Antu الكاهنة العظمى) تأتي في المقدمة لانها كانت تعتبر من الوجهة الدينية زوجة للاله حتى ان اسمها في السومرية (nin-dingir) يعني « السيدة الالهة » . ومن المعروف ايضا ان الكاهنات من هذه الطبقة كن من بنات العائلة المالكة والنبلاء اذ جرت العادة ان يكرس الملوك والامراء بناتهم واخواتهم لخدمة الآلهة في المعابد . وقد وصلتنا قائمة باسماء كاهنات هذه الطبقة ممن كرسن في معبد ننار (اله القمر) في مدينة اور من زمن الملك سرجون الاكدي ومن زمن الملك البابلي نابوناهيد . وخصصت الشرائع القديمة مواد قانونية لتحديد حقوق والتزامات هذه الطبقة والطبقات الاخرى من كاهنات المعبد ففرضت عقوبات صارمة على كل من يأتي بتهمة باطلة ضد كاهنة . وبالمثل ولاهمية

(٤٦) Herodotus, The Histories (translated by Aubrey de sélincoutt, Penguin Book 1959) I: 180-182.

مركز « الكاهنة العظمى » في المعبد فان المشرع البابلي فرض عليها عقوبة الموت حرقا في حالة ترددها على حانة الخمارين التي كانت بمثابة الماخور ايضا • كما ان اقتراف الكاهنة العظمى للزنى كان يعتبر نذير شؤم للمعبد وللبلاد على حد سواء • وعلى الرغم من ذلك فان بعض الكاهنات من هذه المرتبة العليا لم يسلمن من الانجراف في « طريق الهوى » وكانت اشهر حادثة من هذا النوع في تاريخ المعبد في وادي الرافدين ما يذكره الملك سرجون الاكدي عن أمه وعن اصله غير الشرعي فيقول : « كانت أمي كاهنة ـ انتو وأنا لا أعرف أبي • لقد حملتني امي الكاهنة ـ انتو ومن ثم ولدتني سرا ووضعتني في سلة من قش ثم احكمت غطائي بالقير والقتني في النهر ••• »[٤٧] والمفروض في الكاهنة العظمى ان تبقى عزبة باعتبارها مكرسة اصلا للاله ، ولكن يبدو من بعض المواد في القانون البابلي بانه كان يسمح لها بالزواج في ظروف معينة ولكن بشرط أن تلد ، ولذلك فانه من الراجح بان السماح بالزواج كان يعطى لها عندما تتم سنوات الخدمة الطويلة في المعبد والتي عندها تكون الكاهنة انتو قد بلغت سن اليأس أي عدم المقدرة على انجاب الاطفال •

ويلي الكاهنة « انتو » في المرتبة كاهنة من صنف « نادتيو » • ونحن نتذكر كيف ان كلا من ابابشتي و كوباتم اللتين قامتا بدور الزوجة مع الملك شو ـ سن كانتا من صنف النادتيو • وهناك أيضا الكاهنة قادشتو (Qadishtu) والتي تقابل Qadeshah عند العبرانيين) ثم الكاهنة كلماشيتو (Kulmashitu) • ويستدل من الكتابات المسمارية ان الصنفين الاخرين من الكاهنات كانا من بغايا المعبد • ويظهر ان « القادشتو » كانت تطابق في مدلولها كلمة « مومس » بدليل ان المشرع الآشوري لم يسمح لها ان تلبس الحجاب طالما انها بقيت غير متزوجة• ولذلك فانه اوجب عليها « ان تسير وهي حاسرة الرأس في الطريق أي ألا تغطي رأسها لانها مومس » على حد تعبير المادة الاربعين من القانون الآشوري[٤٨] •

والراجح ان البغاء المقدس يرتبط اصلا بالعقائد والطقوس الخاصة بالالهة الام التي بواسطتها كان يعتقد بامكانية الاستزادة من الخصب في مظاهر الطبيعة سواء بين البشر أو الحيوان أو النبات ، وترجع هذه الصلة الى عصور قديمة سبقت تبلور التقاليد والقوانين الاجتماعية التي نظمت العلاقة بين المرأة والرجل والتي تمخض عنها في غالبية المجتمعات اقتصار المرأة في علاقتها الجنسية على رجل واحد فقط ، اذ من

---

(٤٧) ويقول سرجون في هذا النص عن نفسه أيضا ان أحد السقاة انتشله من النهر فرباه وعلمه فنون البستنة وان الالهة عشتار رأته ذات يوم فأحبته وأعطته الملوكية :

Ancient Near Eastern Texts, p. 119; The Assyrian Dictionary, vol. 4, sub entu, pp. 172-173.

(٤٨) Driver and Miles, The Assyrian Laws, (1955), 407.

وانظر بخصوص هذه المادة أيضا :

The Assyrian Dictionary vol. 6, sub harimtu, p. 101.

المعروف ان المجتمعات البشرية كانت قد مارست أشكالا مختلفة من الزواج ، كالزواج الجماعي (Group Marriage) ونظام تعدد الازواج (Polyandry) والتي وضعت المرأة في متناول أكثر من رجل واحد[٤٩] • وتبعا لذلك فقد كان منطقيا أن يتصور انسان تلك المجتمعات بان الالهة الام لم تكن ، هي الاخرى ، تقتصر في علاقتها على اله واحد فقط بل كان لها سلسلة من الازواج أو العشاق[٥٠] •

ولكن عندما اصبح مبدأ « المرأة لرجل واحد » هو النظام السائد في المجتمعات بمرور الزمن ، فقد اصبح ايضا استسلام المرأة لرجل غريب حتى في خلال تأدية طقوس الخصب أمرا لا يتفق والعرف الاجتماعي الجديد بأية حال من الاحوال[٥١] غير ان الايمان بهذه الطقوس وبضرورة اقامتها لفائدتها للمجتمع البشري دفع المجتمع لان يتبنى فكرة تكريس بعض من الفتيات في المعبد ليقمن من خلال ممارسة البغاء المقدس بدور الهة الخصب ذات العشاق العديدين •

لابد لنا من ان ننوه في هذا الموضع الى ان معلوماتنا عن البغاء المقدس في وادي الرافدين وفي الحضارات القديمة الاخرى ما زالت نزرة لا تمكننا من تكوين صورة متكاملة عنه • ثم ان كثيرا من التفصيلات التي يجدها القارىء في بعض الكتب التي تناولت هذا الموضوع ، ماهي في الواقع الامجرد تأملات ينتقصها الدليل على صحة اثباتها اوانها استنتاجات من كتابات مؤرخين متأخرين لم يكونوا على قدر كاف من المعرفة باصول وطبيعة حضارة وادي الرافدين • ولهذا كله فان موضوع البغاء المقدس يحتاج في اعتقادنا الى مزيد من الاستقصاء والتمحيص تمهيدا لاعادة كتابته بطريقة اكثر دقة وموضوعية على ضوء الدراسات السمارية الحديثة •

لاندري متى بدأ سكان وادي الرافدين يكرسون بعضاً من فتياتهم في المعابد لممارسة البغاء المقدس بدافع ديني محض على النحو الذي أوضحناه قبل قليل • ولكن من الاكيد ان البغاء المقدس بقي معروفاً في بابل الى فترة متأخرة جدا بحيث ان المؤرخ اليوناني هيرودتس دون لنا بعض الملاحظات عنه خلال زيارته لمدينة بابل في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد • ويتضح من

---

(٤٩) يظهر ان زواج المرأة من رجلين أو أكثر في وقت واحد كان معروفا في بلاد سومر بدليل ان اروكاجينا (٢٤٢٠ ق٠م) أمير سلالة لكش الاولى يذكر في أحد نصوص اصلاحاته الاجتماعية « ان المرأة في الايام السابقة كانت تتخذ لنفسها زوجين (ولكن) امرأة اليوم سوف ترجم بالحجارة (اذا ما فعلت ذلك) ، حول النص السومري وترجمته انظر على التوالي :
Sollberger, Corpus des Inscriptions "Royales" Presargoniques de Lagash, (1956), p. 54, III : 20-22; Kramer, The Sumerians, p. 322.

وحول مزيد من التفصيلات بخصوص أنظمة الزواج المختلفة يراجع :
Beels and Hoijer, An Introduction to Anthropology (fourth edition 1971). pp. 393 ff.

(٥٠) من أوضح الامثلة على هذه الفكرة الخاصة بالالهة الام عند سكان وادي الرافدين ما ذكره جلجامش عن عشاق الالهة عشتار الذين عدد منهم ستة بالاسم وعن عدم اخلاص الالهة لاي منهم •

(٥١) Frazer, The Golden Bough : Adonis, Attis, Osiris, vol. 1, (1935), pp. 36 ff.

بعض الاشارات في الكتابات المسمارية [٥٢] ومما كتبه هيرودتس ان البغاء المقدس كان وثيق الصلة بالآلهة عشتار وبمعابدها • ولاشك في ان المعبد كان يحصل على نصيب من الاجر الذي كان يتقاضاه النسوة المكرسات لممارسة البغاء • يقول هيرودتس بهذا الخصوص انه كانت « هناك عادة مخجلة بين هؤلاء الناس (البابليين) اذ كان على كل امرأة من اهل البلد ان تذهب مرة في حياتها لتجلس في معبد افروديت (عشتار) فتستسلم لرجل غريب • غير ان كثيرا من النسوة الغنيات من اللواتي يأنفن الاختلاط بعامة الناس ، كن يأتين الى المعبد بعربات محجبة يتبعهن حشد من الخدم فينتظرن هناك • غير ان اغلب النسوة كن يجلسن في ساحة المعبد وقد وضعت كل واحدة حول رأسها شريطا من خيوط مجدولة ـ وكن حشدا كبيرا فبالاضافة الى الجالسات فهناك القادمات والذاهبات • وكانت من حولهن ممرات في اتجاهات مختلفة يسير فيها الرجل ليختار منهن من يشاء • وعندما كانت المرأة تأخذ مكانها فلن يسمح لها بالعودة الى بيتها الا بعد ان يلقى أحد الرجال قطعة نقد في حجرها ، وكان على الرجل ان يقول باسم الالهة ماليتا [٥٣] وكان ذلك اسم افروديت بالآشورية • ولم تكن قيمة النقد ذات اهمية ، وانها حالما تلقى كانت تصبح مقدسة ويمنع القانون رفضها ابدا • ولم يكن للمرأة حق في الاختيار اذ كان عليها ان تذهب مع أول رجل يلقى لها النقود • وكان واجبها نحو الالهة [افروديت] ينتهي عندما تضاجعه ... »[٥٤] •

لا شك في ان ما سجله هيرودتس عن مشاهداته في المعبد البابلي يعتبر على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لدراسة موضوع البغاء المقدس غير اننا نشك جدا في دقة أخباره وخاصة في تعميمه البغاء المقدس على كل امرأة بابلية وهو ادعاء ليس له نصيب من الصحة اطلاقا • ولا نشك ايضا في ان النسوة اللواتي شاهدهن هيرودتس يجلسن في ساحة المعبد كن من بغايا المعبد وعلى الاغلب من صنف « القادشتو » اللواتي جئنا على ذكرهن في موضع سابق •

رأينا من خلال حديثنا عن الزواج المقدس ان الربيع بمطره وخضرته وخيراته كان موسما للاحتفال يبعث الى النبات والماشية دموزي وزواجه من الهة الخصب انانا ، ذلك الاحتفال الذي كان يقام في شهر نيسان من كل عام والذي كان يتسم بطابع الفرح والبذخ • ومن المعروف ان الربيع سرعان ما ينتهي ليحل مكانه الصيف بشمسه المحرقة ورياحه اللافحة وآنذاك تختفي الخضرة وتزول كل مظاهر التجدد

---

(٥٢) انظر على سبيل المثال :
Lambert, Babylonian Wisdom Literature, p. 219-3-7; The Assyrian Dictionary, vol. 6, sub harimtu, p. 101.

(٥٣) كلمة محرفة عن الآشورية mu'allittu بمعنى « مولدة ، خالقة » (والمذكر منها mu'alliddu مولد ، خالق) وهي من ألقاب الالهة عشتار باعتبارها الهة التكاثر والنسل •

(٥٤) Herodotus, The Histories (translated by Aubrey de Sélincoutt), p. 94-95.

والعطاء • وقد كان هـذا في عقيدة سكان وادي الرافدين نذيرا بموت الاله دموزي ونزوله الى عالم الأموات ليبقى هناك نصف عام أي لموسمي الصيف والخريف •

ومثلما اصبحت عودة دموزي الى الحيـاة وزواجه من الالهة ان ـ انا طقسا يجري اقامتـه كل عام من خلال الزواج المقدس فقد كان موته في الصيف مدعاة ايضا لاقامة مواكب العـزاء وقراءة المناحات وحزن جماعي بين عامة الناس(٥٥)

هناك اشارات الى البكاء والحزن على دموزي يرد ذكرها في النصوص المسمارية • فتقرأ في ملحمة جلجامش ان البكاء كتب على عشتار من أجـل زوجهـا تموز في كل عام • كما نقرأ في التقـاويم البـابلية ان الحزن والبـكاء عـلى الالـه كان يبـدأ في اليوم الثاني من شـهر (Du'uzi) أي تموز وانه كانت تقام مواكب عزاء تحمل فيها المشاعل وذلك في اليوم التاسـع والسادس عشر والسابع عشر •

وفي الايام الثلاثة الاخيرة من هذا الشـهر كان يقام احتفال اسمه بالاكدية (Taklimtu) يجري خلاله عرض ودفن طقسي لدمية تمثـل الاله تموز(٥٦) •

ولكن وعلى الرغم من الاثر الذي تركتـه عقيدة موت الاله تموز في المجتمع القديم فـي وادي الرافدين وخارجه فان الحزن عليه لـم يصبح في يوم ما من طقوس المعبد بل ظل يقـام سنويا في نطاق المعتقدات الشعبية على العكـس تمـاما من الزواج المقدس الذي كان لـه طـابع الديانة الرسمية بدليل مشاركة المعبد والملك في اقامتـه •

لقد وصلنا عدد من المناحات التي الفهـا الشعراء السومريون والبابليون للبكاء على الالـه الشاب دموزي والتي كانت تقرأ في مواكب العزاء في المدن المختلفة ، ومما تجدر ملاحظته ان معظم هذه المناحات قد ألف على لسان زوجتـه الالهـة ان ـ انا على الرغم من انها كانت ، كما رأينـا سابقا ، السبب المباشر في مأساته • ويغلب على مناحات دموزي طابع الحزن العميق والعاطفـة الشديدة • كما يلاحظ فيها أيضا تكرار مستمر اما لصدر البيت أو عجزه ، واحيانا يتكرر البيت الاول من المناحة بعد عدد معين من الابيات كأن تكون ثلاثة مثلا • ومن الامثلة على هذا النـوع

---

(٥٥) هناك من الباحثـين من يعتقد بأن الطقوس الخاصة بدموزي كانت تقـام في ثلاثة احتفالات منفصلة الواحد منها عن الآخر وهي : ١ـ احتفال بمناسبة بعثه ٢ـ احتفـال الزواج المقدس الذي يقوم الملك من خلاله بدور الالـه دموزي ٣ـ مواكب حـزن على دموزي بمناسبة موته • ولكن يمكن القول بصورة أكيدة بضـوء النصوص المسمارية ذات العلاقة بطقوس دموزي ان الشقين الاول والثاني كانا يتداخلان في احتفال واحد • اذ من المعروف ان دموزي كان يقـرن بالربيع وان القدماء كانوا يستحدثون بعثه عـن طريق الزواج المقدس الذي كان يقام ضمن أعياد رأس السنة في نيسان • ولذلك فاننا نعتقد بأن الطقوس الخاصة بدموزي كانت تقام في مناسبتين اثنتين فقط هما الزواج المقدس لاستحداث بعثة في الربيـع ومواكب العـزاء بمناسبة موتـه في الصيف • حول مزيد من التفصيلات أنظر :
Gurney, "Tammuz Reconsidered", Journal of Semetic Studies, vol. 7 (1962) pp. 155 ff.

(٥٦) Gurney, Ibid., p. 157.

من المناحات المقطوعة التالية التي يقول فيها الشاعر السومري على لسان ان ـ انا :

راح قلبي الى « السهل »[٥٧] نائحاً نائحاً
اني انا سيدة معبد أي ـ انا التي تحطم بلاد الاعداء ،
اني انا ننسونا[٥٨] (Ninsuna) أم السيد (العظيم) ،
اني انا كشتن ـ انا[٥٩] (Geshtinanna)
أم الفتى المقدس ،
راح قلبي الى السهل نائحاً نائحاً
راح الى مكان الفتى ،
راح الى مكان دموزي ،
الى العالم السفلي ، مستوطن الراعي .
راح قلبي الى السهل نائحاً نائحاً
الى المكان الذي فيه رُبط الفتى ،
الى المكان الذي فيه احتجز دموزي ،
الى المكان الذي فيه اعطتني النعجة حملا[٦٠] ،
راح قلبي الى السهل نائحاً نائحاً
الى المكان الذي اعطتني فيه العنزة جديا ،
الى إله ذلك المكان « البعيد » ،
الى [المكان] الذي فيه قد احاطت الام .. النسر .
راح قلبي الى السهل نائحاً نائحاً[٦١]

ومن المقطوعات التي لها أهمية خاصة بهذا الشأن ، قصيدة سومرية يمكن القول عنها انها تتألف من قسمين ، الاول ويحتوي على وصف لحال الالهة الحزنية ان ـ انا التي كانت تندب على فقد دموزي وتبكي عليه بكاء « الام » على « ابنها » و «الحبيبة» على «حبيبها» و « العروس » على «عريسها » و « الزوجة » على «زوجها» . ولهذا نجد الشاعر السومري ينعت الاله الفقيد تارة « بالابن » و « الحبيب » وتارة « بالعريس » والزوج » . اما القسم الثاني فيروي فيه الشاعر وباختصار القصة المؤلمة لنهاية دموزي على يد شياطين العالم السفلي .

وعلى الرغم من ان شاعرنا قد يختلف في بعض التفصيلات التي يذكرها بخصوص موت الاله عما ورد في اسطورة « نزول ان ـ انا الى العالم السفلي » سابقة الذكر الا ان الروايتين متشابهتان في جوهرهما وفي خطوطهما العريضة ونحن لانشك في ان هذه القصيدة موضوعة البحث كانت من ضمن المناحات التي تقرأ في مواكب العزاء على دموزي خاصة وانها تتحدث شعرا عن أسى الزوجة الحزينة ان ـ انا وتروي في نفس الوقت وفي نفس الاسلوب تفاصيل مأساة الاله . يقول الشاعر السومري :

---

(٥٧) يبدو ان الكلمة السومرية edin « سهل » قد استعملت هنا مرادفة لكلمة « العالم السفلي » حيث ذهب دموزي (انظر السطر الرابع من المقطع التالي) .

(٥٨) الهة كانت تعبد في كولاب في ضواحي مدينة الوركاء .

(٥٩) يعني اسمها « خمرة السماء » وهي أخت الاله دموزي ولكنها تعتبر أحيانا الالهة الام فتشبه بالالهة ان ـ انا .

(٦٠) من المعروف ان دموزي كان الاله الراعي غير ان مضمون هذا السطر وما بعده بسطر واحد أيضا غير واضح .

(٦١) Falkenstein und Von Soden, Sumerische und Akkadische Hymnen und Gebte, pp. 186-87.

تبكي السيدة بمرارة على زوجها
تبكي ان ـ انا بمرارة على زوجها
تبكي ملكة أي ـ انا بمرارة على زوجها
تبكي ملكة زيالم[٦٢] بمرارة على زوجها
وأسفا على الزوج ، وأسفا على الابن ،
وأسفا على الدار ، وأسفا على المدينة
على زوجها الذي أسر ، على ابنها الذي قتل ،
على زوجها الذي أسر في الوركاء ،
الذي قتل في الوركاء ، في كولاب ،
الذي لم يعد يستحم في أريدو ،
الذي لم يعد يغتسل بالصابون في أي ـ نون[٦٣] (Enun)
الذي لم يعد يعامل أم ان ـ انا كأمه
الذي لم يعد ينجز الواجب لصبايا المدينة
الذي لم يعد يتبارى مع فتيان مدينته
الذي لم يعد يتحكم بالسيف بين كورگارا[٦٤]
(Kurgarra) ، النبيل الذي لم يعد يعتز به أتباعه .
وتنوح ان ـ انا على عريسها الشاب (فتقول)
راح زوجي ، زوجي الطيب ،
راح ولدي ، ولدي الطيب
راح زوجي بين ... النبات ،
زوجي الذي راح ينشد الطعام فاسلم الى .. النبات
زوجي الذي راح ينشد الماء فأسلم الى المياه .
عريسي قد هجر المدينة مثل ... حطمتـه الايدي ،
النبيل قد هجر المدينة مثل ... حطمتـه الايدي .

بعد ذلك ينتقل الشاعر الى رواية التفصيلات عن محاصرة الشياطين للاله دموزي في حظيرة الاغنام فيقول عن ذلك ما ملخصه : ان شياطين الكـالا (gala) وعددهم سبعة كانوا يحيطـون بدموزي وهو نائم في الحظيرة ، وان ستة منهم تناوبوا بالدخول اليها لتخريبها حتى أحالوها في النهاية الى كومة من تراب . وتذكر القصيدة ان السابع منهم ايقظ دموزي من نومه « المصطنع » على حد تعبير النص السومري ليخبره بانهم يطبقون عليه من كل جانب وان عليه انا ينهض ويذهب معهم . وتستمر القصيدة السومرية بعد ذلك في وصف هرب دموزي من قبضة الشياطين واستغاثته بصهره اوتو ، اله الشمس ، لتخليصه منهم ولكن من دون جدوى . واخيرا يحكم الشياطين قبضتهم على الاله ويقتادونه أسيرا الى العالم السفلي[٦٥] .

وبعد هذا الاستعراض للمعتقدات الخاصة بالهة الخصب ان ـ انا واله النبات والماشية دموزي وللطقوس المتعلقة بالزواج المقدس واقامة المناحات لابد لنا في ختام هذا البحث في الحديث عن جانبين مهمين : اولهما مدى التشابه والاختلاف بين هذه المعتقدات والطقوس في وادي الرافدين

---

(٦٢) احدى المدن السومرية التي تتمثل الان بالموقع الاثري المعروف باسم البزيخ .
(٦٣) اسم لمعبد في اريدو .
(٦٤) اسم لا نعرف مدلوله على وجه التحديد ويبدو انه كان يطلق على من كان يكرس لخدمة الالهة ان ـ انا .
(٦٥) Kramer, The Sacred Marriage Rite, pp. 128 ff.

من جهة وبين نظائرها مما كان معروفاً أيضا بين الشعوب الاخرى في الشرق القديم ، وثانيهما مدى التأثيرات التي تركتها المعتقدات الخاصة بالالهة ان ـ انا والاله دموزي في تراث الامم القديمة وفي تراثنا المعاصر .

كانت اساطير ومعتقدات الشعوب القديمة والبدائية وماتزال حقلا خصباً للمعنيين بالدراسات الحضارية والاثروبولوجيا لأهميتها في معرفة أصول كثير من المعتقدات والتقاليد المعاصرة. ومن المعروف ان هناك نقاط التقاء وتشابه بين أساطير شعوب الشرق الادنى وخاصة ماكان يتعلق منها باله النبات : دموزي (اي تموز) عند السومرين والبابليين ، بعل عند الكنعانيين ، ادونيس عند الفينقيين واليونانيين واوسيريس عند المصريين حيث تتلاقى الاساطير المتعلقة بآلهة النبات لهذه الشعوب في نقاط من ابرزها :

١ ـ انها تموت وتنزل الى العالم السفلي .

٢ ـ انها تبعث الى الحياة اما بشخصها او متجسدة في احدى ظواهر الطبيعة الحية كالنبات او الحبوب .

٣ ـ ان موتها يتسبب في شل مظاهر التجدد في الطبيعة ويكون مدعاة لاقامة حزن جماعي بين الناس .

وقد عزا السير فريزر وجود التشابه بين هذه الاساطير الى تشابه الدوافع في المجتمع البشري التي ادت ، رغم تباين الظروف ، الى خلق انواع من المفاهيم التي قد تختلف في تفصيلاتها غير انها تتشابه في عموميتها (٦٦) . وهناك من يخالفه في الرأي وهم انصار المدرسة التاريخية وعلى رأسهم الاستاذ فرنكفورت (٦٧) الذي ناقش باسهاب الفرضية القائلة « بتشابه الدوافع » واهمية « التشابه عموما » في احد أبواب كتابه الموسوم « الملوكية والالهة » (٦٨) .

ومع اعتراف فرنكفورت باهمية أوجه التشابه في عقائد وطقوس آلهة النبات الا انه حاول من خلال بحثه لتفصيلات الموضوع ان يبرز ايضا أبعاد الاختلافات في المعتقدات الخاصة بهذه الآلهة مؤكدا بان ذلك أهم بكثير من « التشابه العام » الذي يؤكد عليه فريزر . ومن الأمثلة التي يذكرها فرنكفورت على ذلك ان طقوس الحزن على موت الاله كانت بالنسبة الى كل من تموز و أدونيس تقع ضمن الديانة الشعبية في حين ان الطقوس الشعبية للاله اوسيريس قد اشتقت اصلا من الطقوس الرسمية لاله كان يمثل دائما في الاسطورة المصرية بأنه الملك الميت . وهناك ايضا صفة الملوكية التي كانت صفة لازمة لاوسيريس في حين كان ادونيس مجرد شاب مغرم بالصيد وكان دموزي راعيا للماشية .

ونستطيع بدورنا ان نضيف الى قائمة « التشابه » و « الاختلاف » التي يذكرها

---

(٦٦) Frazer, The Golden Bough, vol. 1, part, 1. p. 10.

(٦٧) في الواقع كان الاستاذ تسمرن أول من دعى عام ١٩٠٩ الى الفصل بين دموزي وادونيس مخالفا بذلك رأي فريزر القائل بأن تموز و ادونيس كانا الها واحدا اسمه الحقيقي تموز أما ادونيس فهو مجرد لقب له ، انظر :
Gurney. op. cit., pp. 147-160.

(٦٨) Frankfort, Kingship and The Gods, pp. 286-294.

فرنكفورت ملاحظتين : واحدة منهـا في حقـل التشابه واخرى في حقل الاختلاف بضوء آخـر ما كشفت عنه الدراسات المسمارية بخصـوص اله النبات •

لقد ذكرنا في مكان سابق من هذا البحث ان دموزي يخرج من عالم الاموات لنصف عام بعد أن تأخذ اخته كشتن ـ انا مكانه في النصف الآخر باعتبارها بديلة عنه وفقا لنواميس العالـم السفلي في وادي الرافدين ، ولهذه الفكرة ما يماثلها في الاسطورة الاغريقية فنحن نقرأ عن افروديت انها رأت أدونيس عند ولادته فأعجبت بجماله واحبته منذ تلك اللحظة ، وانها حرصا على سلامته فقد وضعته في سـلة وعهدت بتربيته الى برسيفون ، الهة العالم السفلي • ولمـا رأتـه برسيفون اعجبت به هي الاخرى واسـرت في نفسها ان تبقيه وتتخذ منه حبيبا لها • ولذلـك فانها رفضت اعادته الى افروديت عنـدما نزلت الاخيرة الى العالم السفلي من اجل استعادته • ونشب خلاف بين افروديت و برسيفون فاحتكمتا الى الاله زيوس الذي قرر ان يبقـى ادونيس نصف عام مع كل واحدة منهن ، أي نصف عام في عـالم الأموات ونصف عام على الارض مـع افروديت[٦٩] •

ومن جهة أخرى فاننا نعرف من اسـطورة « نزول ان ـ نا الى العـالم السفلي » ، والتي تعتبر المصدر الاساسي عن عقيدة سكان وادي الرافدين بالنسبة للاله دموزي وزوجته ان ـ انا، ان هذه الالهة كانت السبب المباشر في شقائـه الابدي لانها هي التي قدمته بديلا عنها ليذهب الى عالم الأموات مقابل خروجها منه وهي بذلك تختلف تماما عن بقية الآلهات الاخريات : عن آنات في الاسـطورة الكنعانية ، وعـن نوت في الاسطورة المصرية وعن افروديت في الاسطورة الاغريقية •

تذكر النصـوص الكنعانية المكتشفة في اوغاريت (رأس شمرة) ان الكنعانيين اتخذوا من بعل وأنات الهين للخصب وهما بذلك يكونان نظيرين لدموزي و ان ـ انا على التوالي • وعلى الرغم من وجود بعض من اوجه التشـابه بين الاسطورة الكنعانية والاسطورة السومرية الا ان فارقا بارزا بينهما سرعان ما يشخص امام الباحث• ففي الوقت الذي تكون فيه الالهة ان ـ انا سببا في مأساة حبيبها وزوجها دموزي نجد الالهـة أنات تقوم بدور المنتقمة للاله بعـل من عـدوه وقاتله موت اله العالم السفلي • وكمثـال على ذلك نقتبس في أدناه فقرات من احدى الاساطير الكنعانية التي توضح هذا الجانب بالذات[٧٠] :

« واقتربت العذراء أنات منه (بعل)
وكان قلب أنات (يهفو) الى بعل ،
كقلب البقرة الى عجلها ،
كقلب النعجة الى حملها ،
فأمسكت بالاله موت ،

(٦٩) Edith Hamilton, Mythology (A Mentor Book, Eleventh edition 1959), pp. 89-91; Robert Graves, The Greek Myths, vol. I, (Penguin Book 1955), p. 70 71.

(٧٠) Moscati, Ancient Semetic Civiliza-tion (Capricorn Books Edition 1960) p. 117.

وبالسيف شطرته ،
وبالمذراة ذرته ،
وفي النار احرقته ،
وفي الرحى طحنته ،
وفي الحقل رمته
(فكانت) الطير تأكل قطعا منه ،
حتى التهمت بقاياه »(٧١)

ان ما ذكرناه من أوجه التشابه بين الاساطير المتعلقة باله النبات عند شعوب الشرق الادنى القديم ربما جاء نتيجة لأصل واحد بعيد ومشترك استمدت منه الأساطير مادتها كما انه لا يستبعد في رأي بعض الباحثين ان يكون ذلك نتيجة لتطور متماثل لكنه مستقل في مفاهيم الشعوب القديمة . ومن جهة أخرى فان الاختلافات التي يمكن ان تذكر عن اله النبات في معتقدات الشعوب القديمة ، على الرغم من أهميتها ، انما تقع ضمن التفصيلات التي يمكن أن تعزى الى ظروف محلية ، وعليه فانها في اعتقادنا لا تبرر الافتراض القائل بان « آلهة النبات (تموز ، ادونيس ، اوسيرس) كما تظهر لنا في اساطير شعوب الشرق الادنى القديم تعبر عن اتجاهات فكرية بينها اختلافات عميقة » .

واذا ما انتقلنا من أوجه التشابه والاختلاف في المعتقدات الخاصة باله النبات الى إلهة الخصب فان بامكاننا أيضا أن نضيف في هذا الحقل بعضا من الآراء مما استجد في حقل البحوث المسمارية . وربما كان من اهم هذه الافكار ما كان يتعلق منها بالزواج المقدس الذي يشكل جزءا مهما من طقوس الخصب في وادى الرافدين وبالاثر الذي تركه في معتقدات الشعوب القديمة الاخرى في منطقة الشرق الادنى .

يقودنا هذا الموضوع الى الحديث عن سفر مشهور من اسفار التوراة وهو « نشيد الانشاد لسليمان » . اذ من المعروف ان هذا السفر القصير الذي يتكون من ثمانية اصحاحات فقط كان منذ زمن بعيد وما يزال موضوع نقاش بين رجال الدين والمعنيين بدراسات العهد القديم وخاصة فيما يتعلق بتفسير السر في وجوده بين دفتي العهد القديم على الرغم من انه لا يتسم في رأي بعض الباحثين ، بأي صفة دينية فهو لا يمت الى المعتقدات الدينية للعبرانيين أو تأريخهم بصلة كما ان محتوياته لا تنسجم اصلا وطبيعة الكتاب المقدس . فهذا السفر عبارة عن مقطوعات أو اناشيد غنائية وعاطفية تردد مرة على لسان فتاة عاشقة تبحث عن حبيبها وتتغزل بجماله وخصائله ، ومرة على لسان فتى مفتون

---

(٧١) لا يخفى ان هذا التمثيل بالاله موت له دلالة طقسية اذ يستطيع المرء آن يتتبع من خلاله المراحل التي يمر بها الحب من زرعه الى حصده وتذريته وطحنه وخبزه . وبالرغم من ان المدلول الطقسي غير واضح ، فيبدو أن بعل بصفته اله النبات والحبوب قد تجسد بعد موته في الاله موت ولهذا فان اعادته الى الحياة تستلزم زرع بقايا هذا الاله . (يراجع بخصوص ذلك وبخصوص الاساطير الكنعانية الفصل الذي كتبه C.H. Gordon في :

Mythologies of The Ancient World, pp. 183-215.

بجمال حبيبته • وعلى الرغم من هذا الطابع الغريب الذي يتسم به سفر الاناشيد فانه ، في نظر البعض الآخر وخاصة رجال الدين الارثودوكس ، يحظى بقدسية مماثلة للاسفار الاخرى وانه في اعتقادهم يحمل بين سطوره معنى اعمق مما يوحى به ظاهره ، فعندهم ان الفتى العاشق في سفر الاناشيد انما يرمز الى اله العبرانيين يهوا وان الفتاة ليست سوى رمز لامة العبرانيين •

والى جانب هذين التفسيرين توجد تفسيرات واجتهادات أخرى لا نجد حاجة الى ذكرها باستثناء رأي واحد ، نعتقد انه على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لتوضيح الاصول التي استمد منها السفر مادته ، والرأي الذي نحن بصدده الآن يعود الى الاستاذ ميك الذي ادعى قبل نصف قرن[٧٢] ، أي في عام ١٩٢٢ ، ان « نشيد الانشاد لسليمان » انما يمثل صورة محورة للطقوس العبرانية التي كانت تقام احتفالا بزواج إله الشمس من الالهة الام وان طقوس هذا الزواج المقدس قد اخذها العبرانيون عن الكنعانيين الذين اخذوها بدورهم عن سكان وادي الرافدين • ومن جملة النقاط الرئيسة التي استند اليها ميك في تكوين فرضيته :

١ ـ ان الفتى العاشق في « الاناشيد » ينعت بكلمة « ملك » و « راعي » وهما ايضا من نعوت دموزي في وادي الرافدين ٢ ـ ان الفتاة في « الاناشيد » توصف مرة بكونها « زوجة » ومرة « أخت » وهاتان صفتان للالهة ان ـ انا في وادي الرافدين ٣ ـ ان سفر الاناشيد يتكون في الواقع من سلسلة من المحاورات العاطفية تقال مرة على لسان الفتى ومرة على لسان حبيبته على غرار ما نجده في القصائد والمحاورات السومرية بين دموزي و ان ـ انا •

ولا بد لنا من أن ننوه بأن طقوس الخصب لم تكن امرا غريبا بالنسبة للعبرانيين اذ ان هناك مايشير الى وجودها بينهم في اكثر من سفر من أسفار العهد القديم • ومما يجدر ذكره أيضا ان الاستاذ ميك قد جاء بفرضيته سابقة الذكر في وقت لم يكن يتوفر فيه الا عدد نزر من النصوص الخاصة بطقوس الخصب والزواج المقدس وانه استطاع ، بالرغم من ذلك ، ان يستوحي فرضية هي في اعتقادنا على جانب كبير من الصحة والاهمية •

وفي عام ١٩٦٢ أي بعد مضي اربعين عاما على مقالة الاستاذ ميك الاولى بخصوص سفر الاناشيد ، وهي فترة طويلة قطعت خلالها الدراسات المسمارية شأواً بعيدا حيث توفرت خلالها مادة غزيرة ودراسات علمية مستفيضة ، نشر الاستاذ كريمر مقالة عن « سفر نشيد الاناشيد و أناشيد الحب السومرية[٧٣] ، استعرض في مقدمتها وباختصار الآراء المختلفة التي قيلت بصدد هذا السفر ومنها الرأي القائل

(٧٢) American Journal of Semetic Languages and Literature, vol. 39, pp. 1-14.

(٧٣) Kramer, "The Biblical Song and The Sumerian Love Songs", Expedition, The Bulletin of the University Museum of Pennsylvania) vol. 5 no. 1 (1962) pp. 25-31.

بعلاقته وتأثره بطقوس الخصب عند السومريين وان لم يشر صراحة الى رأي الاستاذ ميك • وقد استخلص الاستاذ كريمر بضوء ما اكتشفه من نصوص سومرية جديدة تنشر لأول مرة ان سفر الاناشيد يمثل هو الاخر اناشيد دينية لطقوس الخصب والزواج المقدس عند العبرانيين وانه لذلك ليس مجرد اغانٍ « عاطفية رخيصة » • وأخيرا فانه أيد الرأي القائل بتأثر مدوني سفر الاناشيد باناشيد الزواج المقدس لدموزي وان – انا التي كانت شائعة في وادي الرافدين وان كان « نشيد الاناشيد لسليمان » في رأيه يسمو في صوره وخياله العاطفي على الأناشيد السومرية التي يخيم عليها طابع « الجمود وانعدام العاطفة » (٧٤) •

وفي عام ١٩٦٩ عاد الاستاذ كريمر الى موضوع « نشيد الأناشيد » فأفرد له الفصل الخامس من كتابه عن طقوس الزواج المقدس (The Sacred Marriage Rite) وعلى الرغم من انه في هذا الفصل أعاد معظم المعلومات التي ضمنتها مقالته التي أشرنا اليها قبل قليل الا انه يعتبر في مجمله على جانب كبير من الاهمية اذ استطاع المؤلف من خلال مقارنته التفصيلية بين مقطوعات من سفر « الاناشيد » وبين عدد من المقطوعات السومرية التي تنشر لاول مرة ، ان يوضح ويثبت بان هناك تماثلا بينها في الاسلوب والصورة وحتى في بعض التعابير احيانا مضيفا بذلك ابعادا اخرى ودليلا أكيدا على صحة فرضية الاستاذ ميك بشأن الاصول التي استمد منها سفر « الاناشيد » مادته وهيكله • والحقيقة فان هذه التأثيرات السومرية في سفر « الاناشيد » ليست الا دليلا آخر يُضاف الى بقية الأدلة الاخرى عن مقدار ما أسهم به تراث وادي الرافدين في تكوين كثير من المفاهيم والمعتقدات الأساسية عند العبرانيين (٧٥) •

ومثلما أثرت طقوس الخصب والزواج المقدس لدموزي في سفر « نشيد الاناشيد لسليمان » فقد انتشرت ايضا تقاليد البكاء والحزن عليه بين العبرانيين • وتذكر التوراة بهذا الخصوص ان النبي حزقيال جاء « الى مدخل بيت الرب الذي وجهته الشمال واذ هناك نسوة جالسات يبكين على تموز » (٧٦) • ويعود زمن

---

(٧٤) في الواقع لا يختلف اثنان من المختصين في السومريات في ان اندثار اللغة السومرية لبضعة آلاف من السنين قد جعلنا عاجزين عن تحسس تلك المعاني الرقيقة لكثير من المفردات والتعابير التي كانت من دون شك تحمل صورا خلابة وتتضمن خيالا وأفقاً واسعين •

(٧٥) من المعروف ان العبرانيين أخذوا من وادي الرافدين عددا من المفاهيم والمعتقدات الإساسية التي وجدت طريقها الى أسفار العهد القديم • ونذكر من ذلك معتقداتهم الخاصة بخلق الكون ، خلق الانسان، الجنة ، الارض وتنظيمها، العصر الذهبي للانسان ، قصة هابيل وقابيل ، الطوفان ، العالم السفلي ، البكاء على تموز ، خطيئة الانسان ، هذا الى جوانب اخرى في مجال الامثال والاساطير والقانون (يراجع حول هذا الموضوع :

Kramer, Biblical Parallels from Sumerian Literature, (A Handbook published by The University Museum, University of Pennsylvania, 1959.

(٧٦) حزقيال ٨ : ١٤ •

هذه الاشارة الى حدود ٥٩٠ ق٠م ٠

ولا شك في ان هذه الاشارة تدل صراحة على ان اسم تموز وبعضا من الطقوس المتعلقة به لم تكن امرا غريبا عن الديار الفلسطينية التي قدر لها ان تشهد مولد السيد المسيح عليه السلام بعدما يقراب من ستة قرون من عصر النبي حزقيال ٠ ومن المعروف عن هذه الديار أيضا انها كانت موطنا للمعتقدات الخاصة بالاله بعل عند الكنعانيين والذي كان بموجب الاساطير الكنعانية يقتل على يد عدوه الاله موت ثم يبعث عن طريق قتل عدوه وانبات أشلائه في الحقول ٠

واخيرا فقد كانت مدينة ببلوس (جبيل) على الشاطىء اللبناني مركزا لعبادة ادونيس الذي يشارك هو الآخر كلا من بعل وتموز بصفة الموت والبعث ٠ وبتعبير آخر فان الاراضي الفلسطينية كانت على اتصال مباشر بالمعتقدات المتعلقة باله النبات والقائلة بموته وبعثه ٠

ولذلك فان تلك المعتقدات ، في نظر بعض الباحثين ، قد تركت أثرا واضحا في الديانة المسيحية وخاصة ما كان يتعلق منها بموت السيد المسيح (يوم جمعة الآلام) ، وبعثه (يوم القيامة) ٠

والحقيقة هي ان التأثيرات التموزية ، ان صح هذا التعبير ، في الصفات التي نسبت الى السيد المسيح عليه السلام اصبحت تمتد اليوم الى آفاق أبعد مما كان معروفا الى ما قبل سنوات قليلة فقط وذلك بضوء ما توفر من نصوص سومرية جديدة ٠ اذ رأينا عند حديثنا عن مأساه دموزي كيف ان هذا الاله قد عانى مر العذاب على يد القوى الشريرة المتمثلة بشياطين العالم السفلي الذين أحاطوا به وانهالوا عليه ضربا بشتى انواع الاسلحة حتى اجهزوا عليه ٠ وهذه الصورة لها ما يشابهها في العهد الجديد عندما جاء يهوذا ومعه جمع كثير بالسيوف والعصي وألقوا القبض على السيد المسيح ثم اخذوه الى رؤساء الكهنة ليعاني على ايديهم أقسى انواع العذاب الجسدي اثناء صلبه[٧٧] ٠ وقد رأينا في الاسطورة السومرية أيضا ان المأساة التي حلت بدموزي كانت على يد أقرب الالهة منه وهي حبيبته وزوجته ان ـ انا (عشتار) حيث انها سلمته الى الشياطين ٠ وبالمثل فان الذي سلم السيد المسيح الى اعدائه كان واحدا من مقربيه وهو يهوذا أحد تلاميذه الاثنى عشر الذي خان سيده مقابل ثلاثين شقل من الفضة ٠ واذا أصاب الندم الالهة ان ـ انا على ما فعلته بتموز فراحت تبكي وتنوح على النحو الذي صوره الشعراء السومريون أو على النحو الذي عبر عنه جلجامش في قوله المأثور لها : « ومن اجل تموز زوج صباك كتب عليك البكاء عاما بعد عام » ، فان يهوذا يندم بالمثل ايضا على خيانته لسيده فرد « الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلا : قد اخطأت اذ سلمت دما بريئا ٠٠٠ فطرح الفضة في الهيكل وانصرف ثم مضى وشنق نفسه »[٧٨] ٠

واخيرا فان مما تجدر الاشارة اليه بهذا الشأن

---

(٧٧) انجيل متى ٢٦ : ٤٧ وما بعده ٠
(٧٨) نفس المرجع ٢٧ : ٣ـ٥ ٠

ان للاله تموز نعوتاً متعددة لعل من أبرزها كلمة « الراعي » والتي هي ايضا من النعوت المشهورة للسيد المسيح •

ويظهر ان بعضا من المعتقدات عن موت الاله (تمـوز ، بعـل ، ادونيس) والتي تأثرت بهـا المسيحية قد انتقل بدوره الى معتقدات بعـض الفرق الاسـلامية ، يقول الاستاذ آدم متز في خلال حديثه عن التشيع وعن عـدد من الصفات التي خلعها الشيعة الغلاة على الامام علي رضي الله عنه بانها تذكرنا بصفات السـيد المسيح • ويضيف الى ذلك فيقول : « وقد ظلت هـذه الصفات عند المسلمين مما اختص به المسيح عليه السلام مدة طويلة وسرى كثير مما كان يقـال لاثارة العواطف يوم جمعة الآلام عند المسيحيين الى يوم عاشوراء »(٧٩) •

لا شك في ان ملاحظة الاستاذ متز جـديرة بالاعتبار حقا (٨٠) • ومن جهة اخرى فاننا ينبغي أن نلاحظ بأن ما يعرف بالحزن الجماعي ، الذي ترجع جذوره كما رأينا الى المعتقدات الخاصـة بالاله تموز ، لم تندرس كليا من المجتمع في وادي الرافدين وانما بقيت رواسب ومؤثرات منها في معتقدات بعض الطوائف الدينية • يذكر ابن النديم المتوفي ٩٩٥ ميلادية عن مذاهـب الحرانية الكلدانيين المعروفين بالصابئة في العراق ان « اول سنتهم نيسان » اي ان سنتهم كانت تبدأ بشهر نيسان على غرار السنة البابلية • ثم يتحدث عن احتفالاتهم في شهر تموز فيقول عن ذلك انه « في النصف منه عيد البوقات يعني عيـد النساء المبكيات • وهو تاوز عيد يعمل لتاوز الاله وتبكي عليه كيف قتله ربه وطحن عظامه في الرحى ثم ذراها في الريح فلا تأكل النساء شيئاً مطحونا في رحى بل يأكلن حنطة مبـلولة وحمصا وتمرا وزبيبا وما اشبه ذلك »(٨١) •

ان البكاء على « الاله القتيل » تاوز وفي شهر تموز هـو مـن دون شـك مـن بقايا المعتقدات والطقوس الخاصة باله الخصب دموزي (تموز) غير ان قتله وطحن عظامه وتذريتها على النحو الذي ذكره ابن النديم لا نجـد له ما يشابهه الا في الاسطورة الكنعانية فقط والتي جئنا على ذكرهـا في موضع سابق من بحثنا • فقد رأينا ان الالـه بعل يقتل على يد عدوه الاله موت وان الالهـة آنات زوجته تنتقم لزوجها عندما قتلت موت ثم «بالسيف شطرته، وبالمذراة ذرته، وفي النار احرقته، وفي الرحى طحنته ، وفي الحقل رمته » (٨٢) • ولذلك فلاشك في ان ما يقال عن موت الالـه تاوز عند الصابئة الحرانيين في العـراق يشير الى رواسب كنعانية • ويبدو ان تفسير وجود مثـل هـذه الرواسب عنـد الصابئـة الحـرانيين انهم كانوا بالاصل من الاسـرى الذين جيىء بهم من فلسطين في زمن الملك البابلي نبوخذ نصر

---

(٧٩) آدم متز ، الحضارة الاسـلامية في القرن الرابع الهجري (مترجم) ، جـ١ (الطبعـة الثالثة ١٩٥٧) ص ١٠٨ •

(٨٠) حول مزيد من التفصيلات بخصوص هذا الرأي يراجـع : الدكتور كامل الشيبي ، الفكر الشيعي والنزعات الصـوفية حتى مطلع القرن الرابع الهجري ، ص٤٥ وما بعدها •

(٨١) الفهرست (بـيروت ١٩٦٤) ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ •

الثاني (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق٠م) وانهم جاؤا ببعض المعتقدات مما كان معروفا عن اله الخصب بعل في فلسطين والتي امتزجت بمرور الزمن بالمعتقدات المحلية عن اله الخصب تموز ٠

ومهما كانت نهاية الاله تاوز مؤلمة في عقيدة الصابئة الحرانيين فانها مجرد صورة اخرى للمأساة التي عاناها من قبله اله الخصب دموزي (تموز) ٠

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی